الرسالة ٣٦٢

كتاب الفرق لقطرب (ت٢١٠هـ) في ضوء علم الدّلالة

د. ياسمين سعد الموسى
كلية الأميرة رحمة الجامعية - جامعة البلقاء التطبيقية
الأردن

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الثالثة والثلاثون - ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

المؤلف:

د. ياسمين سعد الموسى

- دكتوراه في علم اللغة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م.
- أستاذ مساعد في قسم العلوم الأساسية، كلية الأميرة رحمة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية.

الإنتاج العلمي:

أولاً – الكتب:

١ – كتاب منشور (مشترك) بعنوان: قواعد العربيّة للصّم والبكم، دار مجدلاوي للنّشر، ٢٠١٠م.
٢ – كتاب – قيد النشر – بعنوان: مبادئ العربية للصُّم والبكم.

ثانياً – الأبحاث:

١ – بحث بعنوان: "تنمية تحصيل قواعد اللغة العربية للصم والبكم في كلية الأميرة رحمة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية "دراسة تجريبية" (بحث مقبول للنشر في المجلة التربوية، جامعة عين شمس (٢٠١٢م).
٢ – بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي للغة العربية في بيروت ٢٠١٢م، بعنوان: اللغة العربية في المناهج والكتب التخصصية في التعليم العالي الأردني، مناهج اللغة العربية (لغير المتخصصين) في جامعة البلقاء التطبيقية، كتاب مبادئ العربية (مثلاً).
٣ – بحث بعنوان: ("أسلوب الاستفهام بين الفصحى والعامية" اللهجة الأردنية مثلاً)، بحث مقبول للنشر، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م.
٤ – بحث بعنوان: "لغة المحلات التجارية في مدينة عمان"، قيد النشر.

المحتوى

الملخص ١١
منهجية البحث ١٣
تمهيد ١٥
كتب الفروق ١٥
أسباب تأليف كتب الفروق ١٩
مفهوم (الفرق) ٢٧
نبذة عن حياة قطرب ٢٩
التعريف بكتاب (الفرق) ٣١
أهمية الكتاب ٣٣
عنوان الكتاب ٣٥
منهج الكتاب ٣٧
التبويب ٣٧
منهج قطرب في سرد الألفاظ ٣٧
منهج قطرب في تفسير الألفاظ ٣٩
منهج قطرب في ضبط الألفاظ ٣٩
الموضوعات اللغوية في (الفرق): ٤١
١ – التَّرادف ٤١
٢ – اللُّغات ٤١
٣ – النَّحو ٤٣
٤ – السِّياق ٤٣
مصادر مادة (الفرق) ٤٩
نشأة علم الدّلالة ٥١
التطور الدّلالي ٥٣

التطور الدّلالي في (فرق) قطرب ٥٣
نظرية الحقول الدّلالية ٥٧
(فرق) قطرب ونظرية الحقول الدلالية ٦١
العلاقات الدلالية في (الفرق) ٦٥
الخاتمة ٧٣
الهوامش ٧٥
المصادر والمراجع ٨٥
الملخص باللغة الإنجليزية ٩٢

الملخـص

لم يحظ كتاب (الفرق) لقطرب – فيما أعلم – بما يليق بمثله من دراسة؛ إذ إنه لم يدرس دراسة وافية ومستقلة، لذا هدفت هذه الدّراسة لاستيفاء جوانب النّقص في دراسته.

وقد قامت هذه الدِّراسة على محاور عدّة، يمكن إيجازها على النَّحو التالي:

١ – تحديد مفهوم الفروق اللُّغوية التي انبنى عليها وجود هذا الكتاب.

٢ – دراسة كتاب (الفرق) لقطرب وتوضيح مكانته في الدَّرس الدَّلالي العربي.

٣ – تبيان أسباب تأليف هذا الكتاب والبحث في المعطيات اللُّغوية التي استند إليها قطرب في تصنيف فرقه.

٤ – الوقوف على المنهج الذي اتبعه قطرب في تصنيف الكلمات وفقاً للفروق بينها.

٥ – إظهار الأسس التي انطوى عليها التَّأصيل المنهجي في (الفرق) لقطرب، وتبيين موقفه من التَّرادف.

٦ – توظيف النَّظريات الدّلالية الحديثة في دراسة الفروق اللُّغوية مثل نظرية السّياق ونظرية الحقول الدّلالية.

٧ – رصد أوجه التّلاقي الحاصل بين الأنظار اللُّغوية التي وردت في (الفرق) لقطرب والأنظار اللّسانية الحديثة.

منهجية البحث

تقع هذه الدراسة ضمن إعادة النظر في كتب التراث اللغوي العربي وفق مناهج التحليل اللساني الحديث؛ فهي محاولة لتسليط الضوء على كتاب (الفرق) لقطرب من وجهة نظر لسانية حديثة، وذلك في محاولة لتشكيل بعض ملامح نظرية دلالية عربية ووضعه في منظومة النظرية الدلالية العالمية.

وتحاول هذه الدراسة أن تضع كتاب (الفرق) الموضع اللائق الذي يستحقه بعد طول إهمال، فقد أزاحت كتب الفروق اللثام عن جوانب دقة العربية في مسمياتها لتفاصيل الحياة العربية؛ حيث اهتم العربي أيما اهتمام بكل تفصيلات حياته واعتنى بها؛ فخصص لكل دال مدلولاً، واعتنى برصد الفروق بين الدوالّ لاختلاف المدلولات، لكنه كان يعي أن هناك أسباباً تدفع نحو اشتراك بعض المدلولات بدالّ واحد؛ نتيجة عوامل عدّة تندرج تحت ظاهرة التطور الدلالي التي تصيب كل اللغات الحية، فتختفي مدلولات من الاستعمال لحساب مدلولات أخرى، وتظهر نتيجة لذلك مدلولات قد تعني أكثر من دالّ فتبرز ظاهرة الترادف.

تمهيد

كتب الفروق

عُنيت الأمة العربية بلغتها فحافظت عليها واعتزت بها، وأحس العرب بجمال لغتهم ورقيها. وكانت العربية قد نضجت في أواخر العصر الجاهلي، ونزل القرآن العظيم بها وتحدى العرب أن يأتوا بمثله ؛ لذا احتاج المسلمون أن يعرفوا معاني التنزيل والحديث النبوي الشريف. أضف إلى ذلك أن الإسلام كان قد انتشر في بلاد كثيرة، وأصبحت العربية اللغة الرسمية للعرب وللبلاد المفتوحة التي حاول أهلها تعلم اللغة العربية؛ حباً في تعلم الدين الجديد الذي دخلوا فيه، وحينئذ دخل ميدان العربية لهجات ولكنات أعجمية، وظهر اللحن ففزع علماء اللغة وحاولوا أن يحافظوا على لغتهم نقية خالصة، وهكذا اهتم العلماء منذ أواخر القرن الهجري الأول باللغة العربية اهتماماً كبيراً، وأحاطوها بعناية بالغة، رغبة منهم في تصفيتها من اللحن الذي بدأ ينفذ إلى حصنها. وكان من مظاهر هذا الاهتمام جمع ألفاظ اللغة وتدوينها في الزمن الذي نشط فيه رواة الحديث والأدب كذلك، وأخذت مصنفات نوعية للألفاظ تظهر وتمهد لمعجمات الموضوعات، وقد انبعثت الصناعة المعجمية العربية في العام الهجري الأول، ولعل أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهور المعجمات العربية هو تيسير فهم ما استغلق على المسلمين من معاني المفردات التي وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[١].

وقد مرّ التّأليف في المعجمات بمراحل متعدّدة متداخلة متعاصرة:

أ – المرحلة الأولى: مرحلة تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها دون ترتيب؛ فالعرب بدؤوا نشاطهم اللغوي بتفسير غريب القرآن ومشكله وغريب الحديث.

ب – مرحلة ظهور المعجمات أو الرسائل والوريقات التي جمعت الألفاظ المختصة بموضوع واحد، فكان مبدؤها تلك الرسائل الصغيرة التي تتناول موضوعاً معيناً مثل أسماء الوحوش والإبل وخلق الإنسان والخيل والشاة والدارات

والنباتات والشجر... إلخ. ومنها كتب الخيل وخلق الإنسان والحشرات والنحل والعسل والإبل والوحوش وكتب الأضداد وكتب التذكير والتأنيث. وأضيف هنا كذلك كتب الفروق التي تندرج في هذه المرحلة من التأليف المعجمي وتتداخل مع المرحلة التالية.

جـ - مرحلة وضع المعجمات العامة الشاملة المنظمة، وهي مرحلة تمتاز بجمع اللغة كلها في كتاب واحد أو حرف من الحروف.. وهدفت المعجمات العربية هنا إلى تدوين المفردات الكاملة للغة، وذلك نتيجة قلق المعجميين من غزارة إنتاج اللغة.

أما بالنسبة إلى الرسائل اللغوية فكانت ثمرة عمل ميداني رائد تم في القرن الثاني الهجري؛ فقد خرج اللغويون إلى البادية لجمع اللغة من القبائل، وكان للأعراب نصيب وافر في مجال التأليف في الرسائل اللغوية التي تعد أساس المعجمات الموضوعية؛ نسب ابن النديم إلى كثيرين منهم بعض هذه الرسائل، وهي التي كتب حول موضوعاتها رواد الجمع اللغوي، وكانت موضوعات الكتب التي وضعها الأعراب تدور حول الإبل والخيل وخلق الإنسان والحشرات، ومن هنا كان لهم دور مهم من ناحيتين؛ الأولى: وضع أسس الموضوعات التي دار حولها جمع اللغة العربية من بطون البوادي؛ والأخرى: أنهم المصدر الأول في جمع الألفاظ[٢].

وقد كانت هذه الرسائل التي تفسر كلمات أو تتحدث عن موضوعات خاصة بالإنسان أو بالخيل أو بالمطر أو بأبنية الكلم تمهيداً لنشأة المعجمات العربية[٣]، وقد تطور هذا النوع إلى رسائل خاصة تتناول الألفاظ التي تطلق على أجزاء الجسم في الإنسان والحيوان، ولها في كل نوع لفظ خاص، وهذه الرسائل هي ما أطلق عليه اللغويون اسم (كتب الفروق).

وقد افتقرت حركة جمع اللغة وتدوينها - في بداية عهدها- إلى قدر كبير من التنظيم والشمول، وهو أمر طبيعي ؛ إذ كان القصد منها تدوين الألفاظ وجمع المتناثر منها، ومن العلماء من ألف رسائل في الغريب أو في النوادر أو في اللغات، أو في الإنسان، أو الحيوان، أو في الفروق، ثم اتخذت هذه الحركة شكلاً أكثر تنظيماً وشمولاً؛ الأمر الذي أدى إلى ظهور المعجمات التي تجمع ألفاظ اللغة وتضبط

مفرداتها مقرونة بالشرح والتفسير[٤]؛ لذلك تعد كتب الفروق أنموذجاً لمعجمات المعاني أو الموضوعات ؛ إذ إنها حجر الأساس الذي بنيت عليه فيما بعد معجمات الموضوعات الضخمة كالمخصص لابن سيده. وقد عني العرب منذ بداية عهد التدوين بتصنيف كتب ورسائل جمعت ألفاظ اللغة ودونتها وفق معانيها. ثم شمل هذا النوع من المعجمات مجموعة ألفاظ ذوات معانٍ متشابهة ومدلولات متقاربة في كتيبات ورسائل صغيرة مثل كتب خلق الإنسان والمطر والأنواء والبئر والإبل والخيل والغنم والوحوش والنبات والشجر والسلاح والفروق، وما لبث هذا الفن أن تطور ليصبح معجماً قائماً بذاته يحتوي كثيراً من الرسائل والموضوعات التي تحتوي بدورها جميع ألفاظ اللغة التي تتحدث عن موضوع بعينه، وعرفت باسم معجمات المعاني[٥]، ويمكن تعريف معجم المعاني بأنه "معجم يتجه من المعنى إلى اللفظ، ويرتب ألفاظ اللغة – في معظمها – بحسب معناها لا بحسب لفظها، وهو مرتب ترتيباً موضوعياً وليس هجائياً؛ بمعنى أن هذا النوع من المعجم يلجأ إليه الباحث لا عندما يعسر عليه المعنى، ولكن عندما يستعصي عليه لفظ يوافق معنى يدور في خاطره، أو عندما يستعصي عليه تركيب مرادف لمعنى ما يجول في ذهنه، وهذا ما يسمح للمترادف أو المتوارد أن يندرجا في إطار هذا المعجم"[٦].

إنّ كتب الفروق جمعت عدداً من مفردات اللغة بحسب موضوعاتها، وهذا "هو الأسلوب الثاني في تصنيف مفردات اللغة بعد الأسلوب الأول الذي رتب مفردات اللغة على أساس الترتيب الهجائي والترتيب الصوتي"[٧]، وهكذا تقوم كتب الفروق في مادتها على جمع المفردات التي تدور حول معانٍ بعينها، وهي المفردات التي تتعلق بخلق الإنسان والحيوان، إضافة إلى احتوائها بعض القضايا النحوية والصرفية والصوتية والدلالية كاعتنائها بالمثنيات والمصادر والأفعال. وبهذا تكون كتب الفروق قد مهدت لظهور معجمات المعاني، وكانت الأساس الذي انبنى عليه وجود مثل تلك المعجمات.

إنّ الباحث في التراث اللغوي العربي يجد أن كتب التراجم والطبقات ذكرت عدداً

لا بأس به لأسماء من ألّف في الفروق، وهو ما يؤكد عناية اللغويين العرب بلغتهم ويعكس ثقافة لغوية عالية؛ لأن اللغة العربية لغة واسعة ما غادرت شيئاً إلا وكان لها فيه نصيب، ومن أبرز دلائل اتساعها تلك الكتب التي اعتنت بجانب طريف من اللغة وهو الوقوف على مسميات أعضاء جسم الإنسان وما يقابلها من أعضاء جسم الحيوان، فالعرب بكروا بالوقوف على ظواهر اللغة الدلالية حرصاً منهم على لغتهم واحتفاء منهم بلغة القرآن، ثم كان "البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل إنتاج المعجمات الموضوعية ومعجمات الألفاظ"[٨].

و لم يقتصر مؤلفو الفروق على الكتب التي سميت بذلك فحسب، بل إننا نجد فصولاً منها ضمن مؤلفاتهم اللغوية تعالج القضية نفسها، وبذلك يمكن تقسيم تلك المؤلفات إلى:

أ – مؤلفات مستقلة بعنوان: الفرق.

ب – مؤلفات تضمنت فصولاً بعنوان الفرق.

أسباب تأليف كتب الفروق

شكّلت كتب الفروق مرحلة مهمة في تاريخ التأليف المعجمي العربي مُكوّنةً بوجودها ظاهرة تستحق الوقوف عند أسباب تأليفها ودواعيه في تلك المرحلة المبكرة من التأليف اللغوي، إلّا أنّ افتقار كتب الفروق إلى مقدمات يبين فيها مؤلفوها أسباب التأليف ودواعيه جعل البحث عن تلك الدواعي أمراً غير يسير، وقد حاولت الدِّراسة تعليل تلك الكتب بالأسباب الآتية:

أولاً: لعلّ حفظ اللُّغة وجمع مفرداتها وتدوينها هو الهدف الرئيسي من تأليف كتب الفروق؛ إذ إن هذه الكتب ظهرت في زمن شاع فيه جمع اللغة وتدوينها؛ حيث انكب العلماء على اللغة يجمعون مفرداتها، ويدونون شواهدها ويقيدونها خوفاً عليها من الضياع، وما يؤيد ذلك أن مؤلفي هذه الكتب هم من علماء اللغة الذين عملوا على الحفاظ على الثروة اللغوية العربية من الاندثار من خلال مؤلفاتهم، ومن بينها كتب الفروق.

ثانياً: وجد العلماء العرب أنفسهم أمام تراث ضخم من المفردات في شتى المعارف التي وضعها الإنسان العربي الموجود في الجزيرة العربية. وقد جمع علماء اللغة تلك المعارف ودونوها في كتبهم الأولى(٩).

إضافة إلى أنّهم وجدوا أنّ العربيّة الفصحى تحتفظ بثروة لفظية كبيرة ؛ مثاله أنّ العضو الواحد وإن خلق لوظيفة معيّنة في كلّ من الإنسان والحيوان والطّير، فإنّ شكله المختلف وتكوينه المتباين عند كل نوع من هذه الأنواع كان مسوّغاً كافياً لدى العربي ليخالف بين التسمية باختلاف شكل المسميات.

أمّا السّبب الثّالث الذي دفع إلى تأليف هذه الكتب فلعلها قضية التساهل في استخدام الألفاظ المتقاربة في المعنى للدلالة على الشيء نفسه ما لفت أنظار علماء اللغة وجعلهم يؤلفون الكتب من أجل تنبيه الناس إلى تلك الفروق بين المفردات. ويؤكد

الجاحظ ذلك بقوله: "وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله – تبارك وتعالى – لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة... والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال"(١٠).

إنّ ذلك يعني تنبّه علماء اللغة إلى عدم مراعاة الناس الدّقة في استخدام المفردات؛ حيث إنّ العامة لاحظت التّماثل الشّديد بين أجزاء الجسم في الإنسان والحيوان فاكتفتْ بالألفاظ التي تُطلق على أجزاء جسم الإنسان وعمّموها فيما يناظرها في الحيوان، وما حدث من تغيّر في هذا النّوع من الكلمات – الفروق اللُّغوية – إنّما هو من قبيل تعميم الخاص أو توسيع المعنى؛ بمعنى أن المعجمات تستعمل اللَّفظ في دلالة خاصّة، ولكنّ العامّة عمّمت الدلالة ووسّعت من دائرة المعنى فشملت مجموعة كبيرة من أفراد الجنس؛ أي أنها انتقلت باللفظ من الدلالة الجزئية إلى دلالة أخرى كلية.

لكنّ الأقدمين من علماء اللُّغة العربيّة ينكرون ذلك التّغير وينظرون إليه نظرة مخالفة، فيعدّونه لحناً يجب مكافحته والقضاء عليه(١١). أو أنهم لا يتشدّدون كثيراً في التّغيّر الذي طرأ على بعض تلك المسمّيات، فأصبحتْ تتناوب فيما بينها على ألسنة الناس وأرادوا فقط ضبط ذلك التّطور والتّنبيه عليه.

ويرجع السّبب في هذا التّغير إلى" ميل الناس في حياتهم العادية وشؤونهم العامة إلى الاكتفاء بأقل قدر ممكن من دقة الدّلالات وتحديدها، ويقنعون في فهمهم للدّلالات بالقدر التّقريبي الذي يُحقّق هدفهم من الكلام والتّخاطب، ولا يكادون يحرصون على الدّلالة الدّقيقة المحدّدة التي تُشبه المصطلح العلمي، وهم لذلك قد ينتقلون بالدّلالة الخاصّة إلى الدّلالة العامّة إيثاراً للتّيسير على أنفسهم، والتماساً لأيسر السُّبل في خطابهم"(١٢).

وهذا سبب كافٍ لوضع تلك المؤلفات للتفريق بين الألفاظ التي تطلق على أجزاء جسم الإنسان وما يناظرها عند الحيوان. إنّ الكفاية اللُّغوية ليست واحدةً عند

الجميع، بحيث يتمكّن كل واحد من تحديد المعاني الجزئية الدقيقة للمفردة واطّراح بعض المعاني الأخرى التي لا تتناسب والسّياق، ولا سيّما أن هناك معاني تكمن صعوبتها في تحديد فوارقها الدقيقة في المعنى.

والسَّبب الرّابع في تأليف كتب الفروق هو تنبّه اللُّغويين إلى أنّ الشّعراء والكتّاب قد أسهموا من خلال استخداماتهم المجازية في تغيير مدلولات هذه الألفاظ وتثبيتها؛ ما أدّى إلى اختفاء دلالات تلك الألفاظ الأصلية مع مرور الزّمن، وهذا ما ذكره الأصمعي (ت ٢١٦هـ): وربما أقيم بعض هذه الأشياء مقام بعض إذا اضطر الشاعر إلى ذلك. قال أبو داود الإيادي:(١٣).

فبتنا عراة لدى مهرنا ننزع من شفتيه الصفارا

والمعروف أنّ الشّفاه للإنسان، أمّا المهر فله المشفر. ويقول في باب الأنف: ويقال له المَرْسِن. وأصله للدواب؛ لأن المَرْسِن موضع الرَّسن، وقد قيل للإنسان. قال العجاج: وفاحماً ومرسناً مسرجا(١٤).

وبسبب ذلك نبّه مؤلفو كتب الفروق على تلك الاستخدامات المجازية للشّعراء حتى يبيّنوا أنّهم لجأوا إليها للضّرورة فحسب. ويقول في ذلك قطرب (ت ٢١٠هـ): "إنّما أوقعت العرب اللّفظين على المعنى الواحد ليدلّوا على اتّساعهم في كلامهم. كما زحفوا في أجزاء الشّعر ليدلّوا على أنّ الكلام واسعٌ عندهم وأنّ مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب"(١٥).

خامساً: ومن الأمور التي يمكن إدراجها ضمن أسباب تأليف كتب الفروق الهدف التعليمي؛ إذ إنّها تُقدّم للمتأدّبين طرائق استعمال الألفاظ، وقد صرّح بهذا كثير من هؤلاء المؤلفين في تضاعيف مؤلفاتهم مثل ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه "أدب الكاتب"؛ حيث علّل سبب تأليفه قائلاً: "فما رأيت أحداً فرق ما بين الوكع والكوع، ولا الحنف من الفرع، ولا اللّمى من اللطع، فلمّا رأيت هذا الشّأن كل يوم إلى نقصان، وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره، جعلت له عنايتي وجزءاً من تأليفي"(١٦). "ويبدو أنّ الغاية من تأليف هذه المصنّفات إضافةً لخدمة أغراض اللُّغة وبيان

وجوهها ومداخلها وتلوّنات أبعادها ؛ القصد التّعليمي، الذي يسعى لتغليب وجوه البحث اللُّغوي، ووضع مادة اللُّغة بين أيدي طلاّبها "(١٧).

ولعلّ السّبب السَّادس الذي دفع إلى تأليف هذه المؤلفات هو أنّ "اختلاف تسمية أعضاء الجسم ووظائفه الحيوية بين الإنسان والحيوان والطّير من الأمور التي لفتت أنظار اللُّغويين العرب القُدامى؛ "فالشّفة" للإنسان مثلاً، يقابلها في الإبل: "المشفر"، وفي ذوات الحافر: "الجحفلة"، وفي ذوات الظَّلف: "المقمّة"، وفي الطّائر غير الجارح: "المنقار"، وفي الطاّئر الجارح "المنسر"، وفي الذُّباب: "الذقط"، إلى غير ذلك من الفروق الدّقيقة، لا في أسماء الأعضاء فحسب، بل في حركات الكائن الحيّ وأصواته، ومكان إقامته، وما يخرج منه من العرق والفضلات وغيرها، وحالاته في إرادة التّكاثر والتّوالد والحمل والوضع، وأسنان الأولاد، والتّفرقة بين أسماء الذّكور والإناث والسّمن والهزال، وحالات الموت، وأسماء الجماعات وغير ذلك "(١٨).

أما السّبب السّابع لظهور كتب الفروق فيمكن إرجاعه إلى عملية التّطور في التّأليف المعجمي؛ حيث إنّ هذه الكتب أو الرّسائل اللُّغوية ربّما جاءت في مرحلة زامنت أو تلت مرحلة التأليف في (خلق الإنسان)؛ إذ تنبّه مؤلّفوها – ومعظمهم قد ألفّوا في الفروق – إلى الخلط أو التّناوب أحياناً بين الأسماء التي تُطلق على أعضاء الإنسان والحيوان؛ فألّفوا هذه الكُتب لرصد الفروق في تسمية العضو الواحد باختلاف الكائن الحي، ومنبهين على الاستعارات التي قد تتم بين إطلاق اسم عضو كائن على الآخر. فكتب الفروق سبقت أو تزامنت مع الرّسائل اللّغوية المؤلّفة في اللّبن واللّبأ والخيل والشّجر والإبل، وما تلك الرّسائل إلّا شكل من أشكال التّأليف في الفروق وإنْ لم يُسمِّها أصحابها كذلك، ومثلها كتاب الإبل الذي يبحث في مراحل نموّها، ومنه: "وولد النّاقة حين تضعه: سليل، فإن كان ذكراً فسقب، وإن كانت أنثى حائل. فإذا مضت أيام فهو رُبَع، إن كان نتج في الربيع، وهُبَع إذا كان نتج في الصّيف. فإنْ نتج بين الربيع والصيف، فهو بُعَّة..."، وهكذا الأمر في كتب النخل واللبن واللّبأ والشجر؛ إذ إنّها تبحث في الفروق بين المُسمّيات في الشيء نفسه.

أمّا السّبب الثّامن فلعلّه منبثق من قضية إنكار التّرادف التّام أو أنّه الباعث الأساسي وراء التّأليف في الفروق ؛ حيث يرى بعض الدّارسين أنّ فكرة التّرادف بدأت في الظّهور بوضوح وجلاء في القرن الثّاني للهجرة، ودليل ذلك ما أورده سيبويه (ت ١٨٠هـ) في باب اللّفظ حيث يقول: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللّفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق"(١٩).

ويبدو أنّ مؤلّفي كتب الفروق رأوا كلمات متقاربة في المعنى "فأرادوا تحديد معانيها فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد، وتُوّجت هذه المرحلة بكتب تؤلّف في الموضوع الواحد، فألّف أبو زيد كتاباً في المطر وكتاباً في اللبن، وألف الأصمعي كتباً كثيرة صغيرة، كل كتاب في موضوع"(٢٠).

ويعد الأصمعي (ت ٢١٦هـ) من أوائل من ألفوا كتاباً مستقلاً في هذا المعنى، وقد سماه: "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه"(٢١).

أمّا أوّل من استعمل مصطلح التّرادف وألّف فيه تحت هذا العنوان فلعلّه أبو الحسن علي بن عيسى الرماني في كتابه: "الألفاظ المترادفة". وقد انطلق مؤلفو كتب الفروق من فكرة مؤدّاها أنّ وجود فروق مهما كانت طفيفة بين الألفاظ يخرجها من دائرة الترادف.

وقد اختلف اللغويون العرب القدماء اختلافاً واسعاً في إثبات ظاهرة الترادف أو إنكار وجودها، وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

أ – فريق أثبت وجود الظاهرة.

ب – فريق أنكر الترادف.

والترادف في اللُّغة هو: التّتابع، فقد جاء في لسان العرب قوله: الرّدف ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف"(٢٢). وفي الاصطلاح هو: "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد".

ويذهب جماعة من علماء اللغة العربية إلى إنكار الترادف التام بين الألفاظ، وإلى أنّ لكلّ لفظة من الألفاظ التي قيل بترادفها لوناً أو نوعاً أو درجةً أو صفةً لا تشاركها فيها اللّفظة الأخرى.

فقد يكون أحد اللّفظين موضوعاً في أصل اللّغة للذّات واللفظ الآخر موضوعاً على أنه صفة لتلك الذات كالإنسان والناطق، أو أنه من باب اختلاف الصفات كالمنشئ والكاتب، أو من باب اختلاف الحالة السابقة كالقعود من القيام.

إذن، التّرادف غير موجود في اللّغة من جهة الأصل التّاريخي لكن اللغة تتطور وتخضع لعوامل كثيرة تفضي بالقطع إلى وجود هذه الظاهرة فلا نكران لها، ولا يعقل أن العرب وقبائلها في أصل الوضع كانت تتعمد وضع مفردات متعددة لمعنى واحد، بل قد يكون العربي بدقته المتناهية كان يميل إلى التفصيل الدقيق في وضع المسميات لأدق التفاصيل والجزيئات؛ بحيث إنه يراقب الموجودات والمحسوسات فيفرّق بينها بمفردات تميّز أدقّ التفاصيل ليصل إلى المعنى المراد من المسمّى وهو الأصحّ. إنّ العربي بفطنته ونباهته، كان يدرك هذه الفوارق في المعنى بين المفردات التي تأتلف منها لغته، حتى أصبح استخدامه لها من سجيّته ومن خاصيّته المعجميّة "فكما لا يجوز أن يدل اللّفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد؛ لأنّ في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة منه"(٢٣). إنّ اللُّغة عرفت هذا وعرفت هذا؛ لأنّ منطقها يقضي بذلك فتطور الدلالات والمجازات والاقتراض من اللغات واطّراح بعض الكلمات من الاستعمال كل هذه العوامل تفضي إلى مثل هذه الظاهرة "وعلى الرغم مما يوجد بين لفظة وأخرى من فروق أحياناً، إلا أنه لا يصح أن ننكر الترادف، مع من أنكره جملة؛ لأنّ إحساس النّاطقين باللُّغة كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف، فنراهم يفسرون اللفظة منها بالأخرى"(٢٤).

وهكذا يجد الباحث في موضوع الفروق أنه "لا مناص من التّسليم بوجود التّرادف، ولا مفرَّ من الاعتراف بالفروق بين المترادفات، لكن هذه الفروق – على ما يبدو– تنوسيت فيما بعد، وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعدها ملكاً لها، ودليلاً على ثرائها، وكثرة مترادفاتها"(٢٥).

ولا تخلو لغة من اللغات البشرية من الترادف ؛ حيث ما زال إيجاد تعريف محدد لمفهوم الترادف أمراً غاية في الصّعوبة؛ "وما يزيد من صعوبة تحديد الترادف أنه ظاهرة دلالية متّصلة بالمعنى، تمثل علاقة معنوية بين العناصر المعجمية، شأنها في ذلك شأن غيرها من الظّواهر اللُّغوية الأخرى، مثل: المشترك اللّفظي، والاشتمال، والتّضمن، والتّضاد" (٢٦).

وبذلك يكون الدّافع من وضع كتب الفروق هو محاولة علماء اللُّغة الحدّ من اتّساع ظاهرة التّرادف ووضع حدّ لها "والأصل اختصاص المعنى بلفظ خاص به معتاد له، وأن تأدية هذا المعنى بلفظ آخر كأنّه من باب المسامحة" (٢٧).

لذلك يمكن القول: إنّ مؤلّفي كتب الفروق قد استشعروا ذلك التّناوب في استخدام لفظة بدل أخرى مع مرور الزّمن مع نسيان اللّفظ الأصلي، فأرادوا من مؤلفاتهم تلك أن تحفظ للنّاس المسميات الأصلية التي تذكرهم بأنّ لكلّ مُسمّى اسماً واحداً يجدر استخدامه.

مفهوم (الفرق)

لا بدّ – قبل الخوض في كتاب قطرب – من إيضاح مفهوم (الفرق) في هذا الكتاب؛ حيث وجد البحث أنّ الفرق عند قطرب هو: "اختلاف الألفاظ مع وحدة المسمّيات بين نوع من المخلوقات ونوع آخر، أو بين فصائل النّوع الواحد. وهناك من اللّغويين من ألّف في الفروق الدّلالية في أجناس الحيوان كالطّير والسّباع والوحوش، ومنهم من جمع إلى ذلك الإنسان"[٢٨]، وقد قدّمتْ تلك الكتب عرضاً دقيقاً من النّاحية المعجميّة لاختلاف الأسماء والمسمّيات بين الإنسان والحيوان والطّائر، وتجاوزت ذلك إلى الحديث عن الحركات والأصوات والتّكاثر والتّوالد وسواها، فإذا كان الإنسان قد اختصّ بالرِّجل والقدم فليس المقصود بهذا أنّ الحيوان لا رِجْل له أو لا قدم له بل له معادل، ولكن التّسمية تختلف؛ فالحافر من الفرس في موضع القدم من الإنسان والخفّ من البعير[٢٩].

إذن، كتب (الفروق) رسائل لغوية عالجت مُسمّيات أعضاء الإنسان، وما يقابلها من أعضاء البهائم والسِّباع والطَّير، وأخذت في كل نوع منها لَفظاً خاصّاً، وما يخرج منها كاللُّعاب والعرق والفضلات وحالات التّكاثر والتّناسل، ومُسميات المواليد، وأسنانهم ومعالم الخلاف في مُسميات الذُّكور والإناث، وأسماء الجماعات، والفروق في أصوات كل ما دبّ على الأرض؛ ممّا كان معروفاً في زمانهم، وألفاظ الزَّجر والموت وما إلى ذلك.

نبذة عن حياة قطرب

هو أبو علي محمد بن المستنير، ويقال أحمد بن محمد، ويقال الحسن بن محمد، والأوّل أصحّ[٣٠]. لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، وهو أحد العلماء بالنحو واللغة. أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين. ويقال: إن سيبويه (ت ١٨٠هـ) لقبه قطرباً لمباكرته له في الأسحار، قال له يوماً ما أنت إلا قطرب ليل، والقطرب دويبة تدبُّ ولا تفتر. نشأ بالبصرة ثم نزل بغداد، وسمع منه بها أشياء من تصانيفه، وروى عنه محمد بن الجهم السمري[٣١]، وكان موثقاً فيما يمليه.

أساتذته:

تلمذ قطرب لجملة من علماء عصره، جلّهم من علماء البصرة، ومنهم عيسى ابن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ)[٣٢] ويونس بن حبيب (ت١٨٢هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠هـ)، وأبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)[٣٣]، وإبراهيم بن سيّار النّظام (ت ٢٣١هـ)[٣٤].

تلاميذه:

أما تلاميذه فقد تلمذ لقطرب جمع ممن عاصره، وقد اشتغل مؤدباً للأمين والمأمون وأولاد أبي دُلف العجلي[٣٥]، ومن أشهر تلامذته:

١- أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت (ت ٢٤٤هـ)[٣٦].

٢- أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥هـ)[٣٧].

٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ).

مؤلفاته:

أ - المؤلفات التي وصلت إلينا:

١ - الأضداد: (وقد حققه: هانس كوفلر، ١٩٣١).

٢ - الفرق: (وقد حققه خليل العطية، ١٩٨٧).

٣ - المثلثات: (وهو محقق ومنشور، تحقيق رضا السويسي، ١٩٧٨).

٤ – الأزمنة: (مخطوطة نشرها حاتم الضامن في مجلة المورد، المجلد الثاني، العدد الأول، ١٩٨٤م).

ب – المؤلفات التي ضاعت:

١ – الاشتقاق.
٢ – الأصوات.
٣ – الأصول.
٤ – إعراب القرآن.
٥ – الأنواء.
٦ – جماهير الكلام.
٧ – خلق الإنسان.
٨ – خلق الفرس.
٩ – الرد على الملحدين في متشابه القرآن.
١٠ – الصّفات.
١١ – العلل في النحو.
١٢ – غريب الآثار.
١٣ – غريب الحديث.
١٤ – فعل وأفعل.
١٥ – متشابه القرآن.
١٦ – مجاز القرآن.
١٧ – المصنّف في الغريب في اللُّغة.
١٨ – معاني القرآن.
١٩ – النّوادر.
٢٠ – الهمز.

وفاته:

وقد تُوفيّ قطرب سنة (٢١٠ هـ) ببغداد.

التعريف بكتاب (الفـرق)

يُعَدُّ كتاب الفرْق لقُطرب أوّل كتاب يصل إلينا في موضوع الفرق بين الإنسان والحيوان والطّير – على حد علمي –، ولا تنبثق أهمية هذا الكتاب من كونه أوّل مؤلف يصل إلينا في موضوع الفرق فحسب، بل تنبثق من محتواه ومادته؛ حيث يتجلّى ما يتمتع به مؤلفه من ثروة لغوية هائلة استمدّها من لغة العرب وأشعارهم، فجاء مشتملاً على مادة لغوية ومفردات وألفاظ فصيحة وغريبة، وينماز هذا المؤلف بصغر حجمه وغزارة مادته، وقد اشتمل على واحدٍ وعشرين باباً. وهذا الكتاب هو "واحدٌ من الكتب التي جعلتْ مظاهر الخلاف في أسماء الأعضاء والنَّسل والصَّوت والجماعات والزَّجر والموت سبيلاً إلى الدّرس والتّمحيص، وفرصة لجمع كلّ ما أمكن حوله من شواهد وفوائد، فكان العطاء وافراً غزيراً" (٣٨).

لم يخصّ الدّارسون فرق قطرب بدراسات مستقلة مُفصّلة إلّا ما جاء منها مبثوثاً في طيّات كتبهم شذرات وخطرات متفرقة لم تفِ الكتاب حقَّه.ولعلّ السّبب عائدٌ إلى أنَّ الكتاب – في مُجمله – ظلَّ مفقوداً، واعتمد الدّارسون على ما نشره المستشرق (رودلف جاير) بمجلة SBWA في فينا عام ١٨٨٨م، وكان ثلاثة أقسام، هي أسماء الحيوان، وأسماء الجماعات، وأصوات الحيوانات. أمّا الجزء الذي يخصُّ الإنسان فقد كان مفقوداً إلى أن عثر عليه خليل العطية كاملاً وقام بتحقيقه ونشره. ومن تلك الدّراسات التي تناولت فرق قُطرب:

١ – التّأليف في خلق الإنسان من خلال معاجم المعاني (دراسة تاريخية، موضوعية لغوية)، إعداد: وجيهة السّطل. وقد نشر عام ١٩٧٩ في دمشق، ويظهر لنا من خلال العنوان أنّ كتب الفروق لم تكن هدفاً في الدّراسة، بل جاء استعراضها في السّياق التّاريخي؛ لذا تعد معالجة المؤلفة لكتاب قطرب معالجة مختصرة وفقاً لما توافر لها من نسخة مبتورة من كتابه؛ حيث اطلعت على

الأقسام الثلاثة التي عثر عليها رودلف جاير، فلم يتجاوز تناولها للكتاب الصفحة الواحدة[٣٩].

٢ – دراسات لغوية، حسين نصار، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١. عالج فيه المؤلف كتاب (الفرق) ضمن دراسة له عن كتب الفروق معتمداً في دراساته على النُّسخة النّاقصة من (الفرْق)؛ لذلك تتّسم هذه الدراسة بالاختصار لكنها أكثر شمولاً من الدّراسة السّابقة؛ إذ تناول فيها أقسام الكتاب وطريقة تبويبه واستدلَّ بمقتطفات منه، ثم أتبع ذلك بتعليق حول رأيه بالمنهج المتبع في الكتاب، وأشار إلى بعض السِّمات المنهجية في (فرق) قُطرب[٤٠].

٣ – كتاب الفرق، قُطرب، تحقيق خليل العطية، ١٩٨٧.

تُعدّ الدراسة التي قدّم لها محقق الكتاب أكثر الدّراسات شمولاً؛ حيثُ اعتمدت نُسخة كاملة صحيحة، فاستطاع بذلك أن يقف على ملاحظ منهجية مكتملة استمدها من الكتاب، وتناول فيها أقسام الكتاب ومنهجه، مُنبّهاً كذلك على أسبقية قطرب في التّأليف في الفروق واعتماد من لحقه من مؤلفين عليه[٤١]. إلّا أنهُ لم يُطل في مقدمته هذه ولم يوفِ الكتاب حقّه؛ إذ اقتصر جُلّ جُهده على تحقيق الكتاب وإخراجه بالصّورة اللّائقة، وهو جُهْد جليل يستحقّ معه كل التّقدير؛ إذ إنّه أخرج إلى النّور أولَّ كتابٍ مؤلفٍ في الفرق.

أهميّة الكتاب

تنبع أهميّة كتاب الفرق لقطرب من كونه يُعدُّ شاهداً ومؤرِّخاً لمرحلة مُهمّة من مراحل تطوّر الفكر اللُّغوي العربي؛ إذ إنّ العرب اهتمّوا بلغتهم أيما اهتمام، وظهر ذلك من خلال وجود مفردات لهم في كل حقول اللُّغة تقريباً؛ لأن اللُّغة النَّاضجة هي التي تستطيع استحداث مُسمّيات دقيقة لكلّ شيء في بيئتها ولا تكتفي بالاستعارة بل تضع اللّفظ الدّال المعبّر عن حاجتها، ويتمّ اختصار المُسمّيات ليحدث ما يعرف بترادفها فيما بعد فتصبح الفم للإنسان وللحيوان معاً.

إنّ ما يُعرف بالتّرادف ما هو إلّا حالة من حالات تطوّر اللُّغة، حيث يلجأ ابن اللُّغة أحياناً لسببٍ أو لآخر لاستبدال لفظ بلفظ آخر قريب منه، فيشيع مع الزّمن ويصبح اللّفظ المستعار أصلاً يُفسّر به اللّفظ الأصيل إنْ ورد ذكره في نص أو في حديث، وبذا تتلاشى الفروق تدريجيّاً وتُنسى ويشيع التّرادف.

وكذلك يعدّ كتاب الفرق لقطرب من أوائل المصادر التي ارتكز عليها فيما بعد مؤلفو المعاجم لشرح بعض من مفردات معجماتهم وتوضيحها "إنّ هذا التّطور من التّأليف اللُّغوي كان حافلاً بوضع الرّسائل في أنواع اللُّغة وموضوعاتها، بحيث أصبحتْ هذه الرّسائل مادة ميسورة بين أيدي أصحاب المعجمات، يحشون بها اللُّغة لتفسير المفردات، وينقلون منها شواهدهم وأمثلتهم وأساليب استعمالهم للألفاظ، إضافةً إلى كتب المعاني والبلاغة والنّقد، والتّفسير والشّروح، والنّحو والصّرف"[٤٢]، وممن نقلوا عن الفرق لقطرب الأزهري في تهذيب اللُّغة[٤٣]. إنّ مادّة الفروق وجدت متفرّقة في المعجمات "إلّا أنّ فضل كتب الفرق هو أنّها جمعتها في أبوابٍ مُحدّدةٍ، وأوضحت دلالتها بشكل يسهل التقاطها ومن ثم استخدامها[٤٤].

فضلاً عن أنّ كتاب الفرق يُعدُّ أحد المصادر الثّرية التي حفظت لنا شواهد

وفوائد لُغوية ومادةً يندر أنْ تحفل بها كتبٌ أخرى؛ وهي مظاهر الخلاف بين الإنسان والحيوان والأصوات؛ فقد جمع في متنه فيضاً من آداب العرب في تلك المجالات.

إضافةً إلى كونه يقف شاهداً ودليلاً على تبكير العرب بالوقوف على ظواهر اللُّغة الدّلالية؛ حيث" تفطّنوا فيها تطبيقاً وممارسة إلى فكرة الحقول الدَّلالية، وهو أمر لا مجال لإنكاره أو إغفاله على الرغم من أنّهم لم يعرفوا النَّظرية بالمفهوم المتداول عند الدَّارسين العرب أو الغربيين في العصر الحديث، وقد عرف علماء اللُّغة القدامى الحقول الدّلالية انطلاقاً من اللُّغة نفسها؛ إذ تضمنت تصنيفاً شاملاً لألفاظها منذ العصر الجاهلي إلى ظهور الإسلام، حيث يلفي الدّارس ما يدلّ على تصنيف الموجودات بموجودها كالعالم والعالمين، ويشتمل على الخلق كلّه والتّقسيم للوجود إلى ما يدلّ على الحسّ والشّهادة والرؤية والملموس، وما هو مُغيّب عن الحسّ، ويجد ألفاظاً تدلّ على الوجود والعدم والمكان والزّمان والدّهر والأبد والأزل"[٤٥]، وخير ما يمثّل كتاب الفرق تطوّر العقليّة الفكريّة العربيّة في المجال اللُّغوي؛ لأنّ اللُّغويين العرب استطاعوا أن يصنّفوا ألفاظ اللُّغة ضمن مجالات مُحدّدة؛ ما يُسهّل على أيّ كان – سواء أكان مختصاً أم لم يكن – الرجوع إلى تلك المصنّفات وأخذ حاجته، فصنّفوا الموجودات "ومثلها ما يدلّ على أنواع الموجودات كالنّبات والحيوان، وللحيوان منها أنواع، منها الإنسان والوحوش والطير، وأنواع أخرى فيما عدا الإنسان من السِّباع والهوام والسّوام والحشرات والجوارح ..."[٤٦].

إنّ هذا الكتاب مع غيره من كتب الفروق يُشكّل مرحلة مُهمّة في تاريخ التّأليف المعجمي وكذلك حلقة مُهمّة في مجال الدّراسات الدّلالية "ولم يكن هؤلاء العلماء ورواة اللُّغة يعلمون أنّ هذه التّجربة العلميّة في جمع اللُّغة قد وضعتهم على أعتاب نظرية علمية لم يقدر لعلماء اللُّغة اكتشافها إلَّا بعد مضيّ أكثر من عشرة قرون على عملهم هذا، وهذه النّظرية هي نظرية المجال الدّلالي"[٤٧].

عنوان الكتاب

إنّ أوّل ما يسترعي انتباه الباحث عند النّظر في كتاب (الفرق) لقطرب هو العنوان الذي وسَم به كتابه؛ حيثُ نجده يقول: "هذا كتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمة من قرنه إلى قدمِه عن قُطرب"(٤٨).

يُعبِّر هذا العنوان بدِّقّة عن محتوى الكتاب ومضمونه، ويشير كذلك ضمناً إلى معنى (الفرق)، وهو معنى اصطلاحي يُشير إلى مؤلفات حملت هذا الاسم كذلك. إلّا أنّ الكتاب قد عُرف واشتُهر باسم (الفرق)، وإلى ذلك أشار المُحقّق في بداية الكتاب مُرجِّحاً تسمية الكتاب بـ (الفرق) مُعتبراً تسميته بـ " كتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمة" عنواناً جانبياً له نظائر في كتب الفرق الأُخر، مستنداً إلى أنّ كل الذين ترجموا لقطرب أجمعوا على تسمية الكتاب بـ (الفرق) ولم يذكروا التّسمية الأخرى. وأرى هنا سبباً آخر قد يكون وراء ذلك، وهو أنّ مؤلفي كتب الفروق رُبّما لم يسمّوا كتبهم بـ(الفرق) ولكن العامّة مالت إلى الاختصار لطول المسمّى، فأطلقوا عليها كتب (الفروق) فغلبت التّسمية عليها واشتهرت بها بعد ذلك، وأصبح عنوان: ما خالف فيه الإنسان البهيمة مُرادفاً لـ(الفرق)، فهذا العنوان يعني ذلك والعكس صحيح.

أمَّا الأمر الثَّاني الذي يسْترعي الانتباه فهو افْتقار فرق قطرب إلى مقدِّمة يبين فيها عن منهجه، أو يوضِّح فيها أسباب التَّأليف كما جرت العادة عند المؤلفين، حيث نجد أنّه قد دخل إلى أبواب كتابه مُباشرة دون تقديم أو تمهيد. وغياب التّقديم في فرق قطرب ربّما قد يكون ناتجاً من كونه الكتاب الأوّل في هذا الموضوع، لذا لم يتنبه قطرب عند وضعه إلى ضرورة تصديره بمقدمة، شأنه في ذلك شأن الرّسائل اللُّغوية التي كانت مُنتشرة آنذاك، حيث كانت تفتقد إلى وجود مقدمات؛ لأنّ الغرض منها تقديم مواد لُغويّة مُعيّنة تخصُّ موضوعاً ما، فلم يشغل مؤلفوها أنفسهم بالتّقديم لها؛ لأنّ الهدف منها جمع اللُّغة من الأعراب وحفظها من الضّياع، أو أنّ المؤلف لم يرَ

حاجة إلى وضع مقدمة لكتابه؛ إذ قد يكون سبب التَّأليف آنذاك معروفاً بين النّاس، أو أنّها قد تكون كتباً تعليميّة، الهدف منها تدريب النّاشئة على لُغة العرب وتنبيههم على مظاهر الخلاف بين تلك المُسمّيات، فلا حاجة – إذن – لمقدّمة؛ فالكتاب يبين عن نفسه ومنهجه دون تقديم.

منهج الكتاب

التّبويب:

قسّم قُطرب كتابه واحداً وعشرين باباً، عالج في كُلٍّ منها عُضواً من أعضاء الإنسان أو شأناً من شؤونه جاعلاً منه مدار حديثه، مُبتدئاً بالإنسان ثم شفعه بما يماثله عند الحيوان، ويمكن تقسيم موضوعات الكتاب ستّة أقسام:

١- أقسام الخلق، وضمَّ هذا القسم ستّة عشر باباً.

٢- الولادة بعد الحمل وتسمية المواليد، وضمّ هذا القسم باباً واحداً.

٣- أصوات الإنسان والبهائم والطّير.

٤- زجر الإنسان والبهائم والطيّر.

٥- الجماعات من الناس والبهائم.

٦- الموت من الإنسان والبهائم.

رتّب قطرب أبواب كتابه دون أن يُراعي منهجاً واضحاً، حيث يبدأ بباب الفم مثلاً، ثم يتبعه باب الأنف، ثم باب الظّفر، فباب الصّدر، وهكذا دون أن يتّبع تسلسلاً في الحديث عن أعضاء جسم الإنسان أو الحيوان من أعلى إلى أسفل أو العكس مثلاً. ولم يتبع في ترتيبه لتلك الأبواب ترتيباً ألفبائياً؛ إذ لم يكن حتى ذلك الوقت قد ظهر بعد معجم لُغوي مرتّب ترتيباً ألفبائياً، فكان التّبويب عشوائياً يخلو من منهج ما ينتظم من خلاله.

منهج قُطرب في سرد الألفاظ:

جعل قطرب من الإنسان وما اختصَّ به من أمور محور اهتمامه، ثم انتقل إلى الحيوانات وما يخصُّها من أمور، مثلاً (باب الفم) يبدأ بقوله: قالوا في مثل الفم من

الإنسان: الفَمُ والفُم والفِم ... ويُقال لمثل الفم من الإنسان من ذوات الحافر: الجحفلة، ومن ذوي الخُفّ: المشفر، ومن ذي الظّلف: المقمّة والمرمّة ... إلخ[٤٩].

نلاحظ من خلال الاطّلاع على (فرق) قطرب أنّه قد جمع فيه ما عرفته العرب من تسميات مُختلفة تطلق على الإنسان والحيوان، ووزّعها في أبواب متساوية في حجمها تقريباً. وفي داخل كل باب اتّبع قطرب ترتيباً آخر، حيث يبدأ بالحديث عن الإنسان، ومن ثم ينتقل إلى الحديث عن العضو المقابل في ذي الحافر، ثم في ذي الخف، ثم في ذي الأظلاف، ثم في ذي البُرْثن، ثم في ذي الجناح، لكن هذا لا يعني أنّه التزم التّرتيب نفسه في كل الأبواب؛ فأحياناً نجده يُقدِّم نوعاً من تلك الأنواع على الآخر، وأحياناً لا يذكرها كُلّها بل يكتفي بذكر بعض منها فقط مثاله باب (الصَّدر)[٥٠] حيث ذكره في الإنسان ومقابله في ذي الخف وذي الظّلف والطّائر فقط.

وقد التزم قطرب بعناوين أبوابه؛ حيث نجدُ تجانساً بين عنوان كل باب ومادته، فوضع الشّيء نفسه تحت بابه؛ ما يجعل تناول الكتاب أكثر سهولة.

وبدأ بالإنسان ثم سار على ترتيبه في ذكر الجماعة من ذي الحافر، ومن الحمير، ومن ذي الخف، ومن ذي الظلف، وفي شاء الوحش للبقرة والظبية، وفي ذي البراثن وذي الجناح.

ثم انتقل بعد ذلك إلى باب الأصوات بادئاً بالإنسان مُنتقلاً إلى ذي الحافر ومنه الحمار والبغل، ومن ثم إلى باب ذي الخف، ومن ثم إلى باب ذي الظلف، ثم إلى باب ذي البرثن من السَّبع.

ثم عاد إلى مراعاة التّرتيب فذكر الصوت من ذي الجناح، وهو يتابع في ذلك نَهجه نفسه في بقية أبواب كتابه التي يتحدّث فيها عن أقسام الخلق، فيبدأ بذكر ما يخصُّ الإنسان وما يرد فيه من لُغات مُنْتقلاً بعد ذلك إلى مُقابله في بقية الكائنات، مُعزِّزاً ذلك بشواهد شعريّة يعزو أكثرها لأصحابها. ونلاحظ أنه يقوم بشرح تلك الشّواهد مُفسِّراً بعض المفردات وشارحاً معانيها.

منهج قُطرب في تفسير الألفاظ:

إنّ الدّارس لكتاب قطرب يلاحظ أنّه اتّبع منْهجاً مُعيّناً في تفسير ألفاظ الفرق جعلت من عمله عملاً أشبه بالعمل المعجمي، وقد تناول في كتابه عدداً من الموضوعات اللُّغوية التي تتّصل بمفرداته، وكل ذلك في إطار إبانته عنها وتوضيحها. وقد بدأ اهتمامه من الحرف وانتهى بالسّياق؛ أي أنّه شمل في عمله المستويات المختلفة للُّغة.

منهج قُطْرب في ضبْط الألفاظ:

أوْلى قطرب اللّفظ ونُطقه وضبطه عنايته واهتمامه، وقد استخدم طُرقاً عِدّة، منها:

١ – ذِكر حركة الحرف: ومن أمثلة هذا قوله: "الطِّبي والطُّبي – بالكسر والضم – والجميع الأطْباء"(٥١)، وكذلك قوله: "وقالوا: هذه نَسْرٌ، ونِسْرٌ، ونِسِر بكسر النون، وكسر السّين، ومسكّنة السين"(٥٢). وقوله في موضع آخر: "فأمّا الطَّفلة – بفتح الطاء – فاللّينة النّاعمة، وكأنّ الطّفل من ذلك للينه وطراوته"(٥٣)، وفي أحيان أخرى يذكر الحركات لأكثر من حرف في الكلمة، أو يضبط الكلمة كاملة نحو قوله: "وقال أبو طفيلة الحِرْمازي: إذا أردت أن تنيخ الإبل قلت: هِيخّ، هِيخّ بكسر الهاء والياء وتثقيل الخاء"، وقوله: "مَهْ مَهْ وصَهْ صَهْ – بالإسكان، ومَهْ مَهٍ وصَهْ صَهٍ – بالإسكان والتنوين، ومَهِ مَهٍ وصَهِ صَهٍ – بالكسر والتنوين" قد نَسَر بِمَنْسره وبِمَنسِره نسْراً، وقد خَلبَ به يخلبُ خَلْباً"(٥٤). إضافة إلى ذلك فإنه قد يُنبه إلى الحركات غير المستخدمة، مثلاً قوله: "فقالوا فيه الدِّجاج والدَّجاج – بالكسر والفتح – والدُّجاج بالضم لغة مرغوب عنها"(٥٥)، وأمثلة هذا كثيرة في كتابه.

٢ – الاستغناء عن إيراد الوزن الصّرفي لألفاظه، وذلك بذكر كلمة معروفة لها الوزن الصّرفي نفسه مثل: "فإذا وضعته أمّه فهو: مُهْر للذكر، ومِهار للجميع، والأنثى: مُهْرة والجميع مُهَرٌ، وفَلُوّ وفلوة مثل: عدوّ وعدوّة والجميع أفْلاء وفِلاء، ويُقال: فلا مُهْرَهُ إذا فصَلَهُ عن أمه"، ومثاله: "ويقال للأنثى من صغار

الضّأن: رِخْل ورَخِل – كما ترى – ورُخْل ورُخال كما قالوا: ظِئْر وظُؤار، وتوْأم وتُؤام. وهذا الجمع على فُعال لا يكاد يُسمع "، ومنه: "والخِنْطَلة: قطعة من البقر والخيل والغنم، والجميع: خناطِل وخناطيل مثل قِنديل وقناديل وبِرطيل وبراطيل".

٣ – توضيح الحرف نفسه؛ وذلك منعاً من حدوث التَّصحيف، ومثل ذلك قوله: "والرُّعام والرُّغام بالعين والغين"، ومثاله كذلك: "... ويقال له الرُّعاق والضّغيب والوقيب، بالياء"، و"السُّلَك: فرخه أيضاً، والسُّلف أيضاً بالفاء"(٥٦).

٤ – التّنبيه على تحقيق الهمز أو إهماله في بعض الكلمات، ومنه قوله: "واليَتْن والأتْن أيضاً بالهمز"، و"فقالوا: الصُّؤاب – بالهمز – والجميع الصِّئبان"، وفي مواضع أخرى يُنبّه على إهمال الهمز نحو: "يقوقي قوقاة – غير مهموز"(٥٧).

٥ – التّنبيه على أنّ اللّفظ ممدود أو مقصور، ومنه: "الورى والبرى – مقصوران" وكذلك: "وإن كانت أنثى بيّنة الجِراء – ممدود – والجَراءة والجِراءة" أو أنهما معاً، ومنه: "فيقال له: خُنْفَس وخُنفساء يا هذا – بالمد والقصر – وخِنْفِساً بالتنوين"(٥٨)، وقد يجمع مع التنبيه على المد أو القصر ذكر حركة الحرف زيادة في التوضيح، ومنه: "ويقال للغلام صبِّي وللجارية صبيّة، بيِّنة الصِّبى – مقصور بكسر الصاد، ويقولونه بفتح الصاد والمد: صبيّة بيِّنة الصَّباء"(٥٩) كما ينبه أحياناً إلى اجتماع القصر أو المد مع الهمز، نحو: "فيقال لولدها حين تضعه: طلى مقصور، فإذا اشتد فهو رشأ(مقصور مهموز)"(٦٠).

إنّ اهتمام قطرب باللّفظ المفرد جعله يشمل كل ما يتعلّق به من أحوال مُختلفة تُساعد على ضبطه؛ فقد حاول أن يحيط لفظه بما أمكن من توضيح وتبيان، وهو بعمله ذلك كأنّما يُؤسّس لتمهيد عمل معجمي، إذ كانت له ملاحظاته الناتجة من استقرائه للغة العرب ووصفها وتوثيق معلوماته بدقة اللُّغوي الذي يحرص على اللّفظة من أن تضيع أو تختلط بغيرها أو أن يصيبها التّصحيف.

الموضوعات اللُّغوية في (الفرق)

١ – التّرادف:

يلجأ قطرب لبيان معنى الكلمة في ألفاظ كل باب بما ضمَّ إليها من مفردات متُشابهة في المعنى، فهو يقول مثلاً: "الأطْبَاء والأخلاف والضُّروع"(٦١).

ونجده كذلك في باب الموت يبدأ بالحديث عن ألفاظ الموت عند الإنسان ويأتي بالكثير من المترادفات دون التّفريق بينها، فهو يحصي لنا اثنتين وأربعين لفظة للموت؛ مما يُشير إلى أنّ قطرباً لم يكن رافضاً للتّرادف، وربما يكون سبب تأليفه لكتابه هو التّنبيه على وجود الفروق دون التّشدد في نفي التّرادف؛ إذ يجوز التّبادل بين الألفاظ، ويجوز الاستعارة، ويجوز أن تتبادل الألفاظ في مواقعها دون تأثير في المعنى. ويقوم قطرب بعرض المفردات وشرح معانيها مثل قوله: "والخَيْف: جِلْد الضَّرع، وخلِفاها اللّذان يليان فخذيها يُدعيان الآخِرَيْن، واللّذان يليان السُّرة يُدعيان: القادمين، وهو الضّرع من ذي الظِّلف.

وخلاصة القول: إنّ قطرباً يعتمد في إبانته عن معانيه استخدام مُرادفات للكلمة تُبين عن معناها وتسُاعد على الفهم، فمثلاً: "وإذا كبرت بعد الشّروف قيل لها: هِمّةٌ وهِرشَفةٌ، وهِرْدشَةٌ، وضِرْزِم، وهِرْهرٌ، وكُحْكُحٌ". ويقول: "والأنف من الإنسان، ما شخص على الوجه، وهو الخطم والخرطوم أيضاً"(٦٢).

٢ – اللُّغات:

لقد حدّدت حركة جمع اللُّغة في القرن الثّاني الهجري إطار النّظرية العامّة للعمل اللُّغوي في القرون التّالية وظّلت التّعبيرات الشّائعة في كتب اللُّغة مثل لُغة الحجاز أو لُغة تميم أو لُغة هُذيل لا تعني الاستخدام اللُّغوي عند هذه القبائل عموماً، بل تعني الاستخدام اللُّغوي عند هذه القبائل في القرن الثّاني الهجري(٦٣). ويحفل كتاب (الفرق) لقطرب بأمثلة مُتنوّعة من لغات قبائل العرب – آنذاك – أو ما عرف

باسم اللّهجات، ويتّضح من خلال فرق قُطرب اطّلاعه على لغات العرب؛ فهو يُنبّه عليها ويُشير إليها ما اقتضت الحاجة، ولهذا فإن فرقه كان وصفياً حيث وصف بأمانة اللغة العربية كما كانت مستعملة. وقولنا إنّ (الفرق) كان وصفياً لا ينفي عنه صفة المعيارية، في الوقت نفسه، إذ كان يشير إلى الاستعمالات غير الفصيحة في اللغة كذلك. "ولا تعدّ معيارية تلك المعاجم عيباً فيها، وإنّما ضرورة أملتها الازدواجية اللغوية القائمة في اللغة العربية، حيث يوجد مستويان من مستويات الاستعمال: أحدهما فصيح والآخر دارج أو عامي"(٦٤).

وهو يعتمد في مادة فرقه على مسموعاته اللُّغوية عن العرب، فيقول في باب العرق: "الصُّواح، سمعنا ذلك من العرب"(٦٥). وفي موضع آخر يقول: "وقالوا: هو السّيد: الأسد أيضاً في لُغة هُذيل..." و"هذه لُغة من وقف بالتاء"(٦٦).

وفي مثال آخر: "قالوا: أَسَدٌ، والأنثى: أسَدة، وأُسْد للجميع، وقالوا للأنثى: لبؤة ولبأة ولباةٌ، ولبوة – بغير هَمْز – ويُقال: قد لبأتْ لبوة الأسد إذ أخْبثت، ويُقال: لَبَواتٌ فلم يهمزوا وفتحوا فهذا على لغةِ من قال: لباة، فلم يهمز مثل: فتاة وفتوات وقطاة وقطوات.."(٦٧).

وقوله: "ويُقال له من ذي الجناح في كلام الناس: القِرطِمتان لم أسمعه من العرب في شعر، وهو من كلام العامة"(٦٨): "والقرطمتان: الهُنيَّتان اللتان عن جانبي أنف الحمامة".

"وقالوا أيضاً: صبيء وللجارية صبيئة، وهي لغة يمانية فيما يحكى لنا"، ومثله في الحديث عن المرأة: "قال بعض طيئ رَجُلَة(٦٩) وقطرب لا يكتفي بإيراد تلك اللغات إنما قد يعلق عليها نحو: "وفاظت نفسه تفيظُ فيْظاً وفُيوظاً وهي في تميم وكلب وأفصح منها: فاضت نفسه تفيضُ فيْضاً وفُيوضاً"(٧٠)، وهو في ملاحظاته هنا ينبّه على شذوذ بعض اللُّغات كقوله: "وقد حُكي لنا فَرَسَة، وهي شاذّة قليلة" أو " وقال بعضهم: هذا سمٌّ أبرص، وهي لغة شاذّة "، و"الضّأن للجميع، وحكى لنا بعضهم: واحد للضأن: ضأْنة، وهي قليلة شاذّة"(٧١).

لقد استند قطرب في كتابه إلى ثقافة لُغوية واسعة تمثلت بمعرفة لُغات العرب؛ أشعارهم وأمثالهم، وغريب كلامهم والمترادف منه إضافة إلى استشهاده بالقرآن الكريم والحديث النّبوي الشَّريف. إنَّ اهتمام قُطرب باللُّغات تنبيه منه على أحد أهم أسباب التّرادف في العربيّة، وهو أن اختلاف الواضعين في اللُّغة يُؤدّي إلى وجود أكثر من لفظ يدلّ على المعنى نفسه.

٣ – النّحو:

يحيط قُطْرب مفرداته في إطار عنايته بها بما يُفسِّرها من أحوال لغوية من تذكير وتأنيث وإفراد وجمع، ويُبيّن ما فيها من القلب والهمز والبدل والجمع ما وجد لذلك سبيلاً، ومن الأمثلة التي يبين فيها التذكير والتأنيث والإفراد، قوله: " فقالوا عُصْفور، والواحدة عُصْفورة للأنثى". ومن الأمثلة على القلب بين الياء والواو ما ورد في سياق حديثه عن أنثى الجراد، يقول: "العيساء – يا هذا – والعوساء"[٧٢]. أما فيما يخص الهمز فورد في نحو قوله: "هذا باز ... وقال بعضهم بَأْزٌ، وثلاثة أَبْؤز، وبِئْزان مهموز"[٧٣].

ويشير قطرب في كتابه كذلك إلى بعض التعليقات النحوية كقوله: "وبعضهم يتبع الفاء الميم في جهات الإعراب"[٧٤] ومن ملاحظاته النحوية كذلك: "فقالوا في الحيّة: هذه أفعى فلا يُصرف فتصير (فَعْلى) والألف الآخِر زائد، وقالوا: هذا الأسْودُ سالخاً، وهذا أسْودُ سالخٌ على الصِّفة، وقالوا حيّة شُجاع، والجميع شِجْعان، وشُجْعان"[٧٥] ومن ذلك يتّضح أنّ قطرباً لم يقتصر في مادته على مستوى واحد من المستويات اللُّغوية بل شمل بعض الجوانب الخاصّة بالأصوات والصّرف والنّحو والدّلالة.

٤ – السّياق:

أدرك قُطرب أهميّة الاستناد إلى نصّ لُغوي في الإبانة عن معاني الألفاظ في الفرق، وبالنّسبة لما يخص السِّياق عنده نجده قد استعان بالشَّواهد و أكثر منها في كتابه، وكان يعزو أغلبها إلى قائليها، وقد تنوّعت شواهده بين ما هو جاهليّ وما هو

إسلامي، وكذلك استشهد بالقرآن الكريم وبالحديث النّبوي الشّريف وبأقوال الصّحابة.

وهو دائم اللّجوء إلى التّفسير بالسّياق الذي يُعرّف بأنّه: "البيئة اللغوية أو غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتكشف معناه".

إنّ أكثر أنماط السّياقات استعمالاً في (الفرق) هو التّفسير بالاستعانة بالشّواهد الشّعرية، حيث استخدم مائتين وثلاثين شاهداً شعرياً. يقول قطرب(٧٦): "ويُقال له من ذي الأظلاف: الظّلف، وقد قالوا لأظلاف البقر: الأزلام، وقال الطرماح(٧٧):

تزِلُّ عن الأرض أزلامُه كما زّلت القَدَمُ الآزِحَهْ

ومنه أيضاً: "والحَزَوّر: الصَّغير. وقال بعضهم الحَزَوَّر: البالغ أشدّه، وقال النّابغة(٧٨):

وإذا نزعتَ نَزَعْتَ عن مُسْتَحْصِفٍ نزْعَ الحَزوَّرِ بالرِّشاء المحْصِدِ

وتأتي الأمثال في المرتبة الثّانية من السّياقات التي استعان بها قُطرب في فرقه فهو يقول: " والعصيم: العَرَق، وما جفَّ منه على الوبر، ويُقال بلحيته عَصيمٌ من خِضاب، أيْ بقيّة. ومنه: "وللعقرب أيضاً: قد صاءتْ تصيء"، وفي مَثَل للعرب: "تلدغ العقرب وتصيء" أي تصيح(٧٩).

ويستعين قُطرب كذلك بشواهد من الحديث الشَّريف، ففي حديثه عن الحمار قال: "ويُقال لولده: جَحْشٌ وتوْلب، وفرأ يا هذا – بالهمز – وفراء مثل: "كلُّ الصَّيد في بطن الفرأ". وهذا يدلُّ أن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف قديم. وهكذا، فإنَّ قطرباً قد أكثر من استخدام الشّواهد الشّعرية والنّثرية معاً لتفسير مفرداته وتوضيح معانيه. لكنه لم يكن يستعين بالشّواهد إلا بعد إن يُعرِّف الكلمات تعريفاً وافياً، ثم يأتي بالشّواهد حتى يؤكّد التّفسير للمعنى أو الاستعمال للفظة، مثال قوله: والدَّرْدَقُ صغار النَّعام، وقال الشّاعر:

تأوي إلى دَرْدقٍ زُعْرٍ قوادِمُهُ كأنهنَّ إذا برَّكنَ جُرثومُ

ومنه قوله: "وقالوا: حَبَلَ الرَّجُل من الشَّراب، وبه حَبَلٌ، إذا امتلأ بطنُه منه ورجلٌ حَبْلان، وامرأةٌ مُحبِلٌ، وكأنَّ الحُبْلى من ذلك مشتقٌّ من الامتلاء، ورجُلٌ حَبْلان إذا امتلأ غضباً. وقالوا أيضاً: امرأةٌ مُجحٌّ، والأصلُ في ذلك للسباع، وذلك إذا عَظُمَ ما في بطنها، ويقال لها – إذا عظم ما في بطنها – امرأةٌ مُثقِل، وقد أثقلت[٨٠]. قال الله – عزّ وجل –: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾[٨١].

وكثيراً ما يتحدث الباحثون عن أن معنى الكلمة يظل ضبابياً وشبه غامض خارج سياق الكلام، بل إن بعضهم نفى أن يكون للكلمة أي معنى خارج السياق. وإذا كان الرجوع إلى المعجم هو – غالباً – وسيلة البحث عن معنى الكلمة على الرّغم من أنه يدون عادة في المعاجم عدد من المعاني فإنّ معظم الكلمات لا يمكن الوقوف على معانيها الدّقيقة في المعجم.

"إن معيار تحديد الشبه بين المفردات هو السياق، وهذا يحدد ما نوع المفردات التي يجب أن تستخدم، ومهمة إيجاد الجيد لكلمة أخرى يعتمد على توقعات عن نوع المترادف الذي يناسب الكلمة؛ فمثلاً في اللغة الإنجليزية، فإنّ الإيمان (faith) لا تعني نفس معنى (belief) الاعتقاد، على الرغم من تبادلهما المواقع في العبارات نفسها كمترادفات، ومع أنهما ليستا مترادفتين فإنهما تختلطان معاً في كثير من المستويات والأشكال، فأفضل مرادف لـ faith هو Trust، ومن خلال الاستعانة بالمتضادات نكتشف أن عكس faith ليس Disbelief"[٨٢].

وانطلاقاً من إدراك العلماء العرب أنّ السّياق وحده هو الذي يُبيّن أحد المعاني المشتركة للّفظة الواحدة، وأنّه هو المناخ اللُّغوي الذي ينتج عن المعنى المتولّد من الارتباط القويّ بين أجزاء التّركيب اللُّغوي[٨٣]؛ انطلاقاً من هذا الإدراك كان قطرب يُفرّق بين استعمال المفردات بحسب الموقف نفسه، مثل قوله: "وقالوا في مثل جلس الإنسان، ربض الفرس، وبرك البعير وفي الطائر تحبّث تحبّثاً إذا تهيّأ لذلك وبسط جناحيه"[٨٤]. إنّ الكلمات السّابقة "جلس، وربض، وبرك، وتحبّث" تدل جميعها على الجلوس إلّا أنّ كلّ فعل منها يحتفظ بمعنى يميّزه عن غيره من أفعال، ويؤدي

السّياق دوراً مهماً في اختيار لفظ دون آخر، وفي بيان الفروق الدّلالية بينها، وعلى الرغم من تلك الفروق الدّقيقة، فإنّها تنتظم في حقل دلالي واحد، تربطها علاقة التّرادف. "فالمعنى معجمي في الكلمة المفردة، أمّا حين تدخل في السّياق فإنّ معناها لا يُسمّى مُعجميّاً نظراً إلى أنّ السّياق يحفل بالكثير من القرائن الحاليّة والمقالية التي تُعطي الكلمة من المعاني ما لا يرد على بال صاحب المعجم"[٨٥]، إن الكلمة المفردة حينئذ تحمل معنى آخر يمكن تسميته بالسّياقي ؛ لأنّ الكلمة هنا تحدّد معناها من خلال سياق معين ؛ لذا فمن المفيد أن نفكّر في التّمييز بين المعاني المعجمية والسّياقية.

واهتمام قطرب بإيراد ألفاظه وتفسير معانيه من خلال السّياق يأتي انطلاقاً من إدراكه لأهمية السّياق في الإبانة عن اللّفظة المفردة، وبذلك تلتقي أنظاره ونظرية فيرث في السّياق؛ إذ إنّ معنى الكلمة عند أصحاب هذه النّظرية هو: "استعمالها في اللُّغة" أو الطّريقة التي تستخدم بها "فالمعنى – كما يُصرح (فيرث) – لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللُّغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة، ويقول أصحاب هذه النّظرية في شرح وجهة نظرهم: "معظم الوحدات الدّلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[٨٦]. لقد نظر (فيرث) إلى المعنى على أنه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس فقط وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة ولكنه أيضاً حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث؛ أي من خلال سياق الحال[٨٧].

إنّ ما يهمّنا هنا هو السّياق اللُّغوي، الذي يحُدّد معنى الكلمة بدقّة بحسب السيّاق الذي وردت فيه، ويزيل أي لبس أو غموض قد يحيط بها. فتصبح كلمة (أنف) مختلفة عن كلمة خطم أو خرطوم على الرّغم من اشتراكهما في الدّلالة على العضو نفسه ولكن في سياقات مختلفة. ويبقى السّياق المحدّد الرّئيسي لدلالة اللّفظ المتجدّدة. إن للسياق علاقة مباشرة بتفسير الوحدات الكلامية على مستويات مختلفة ومتعددة، "فالكلام لا يتأتى فصله بأيّة حال من الأحوال عن السّياق الذي يعرض فيه"[٨٨].

وعلم الدّلالة يعنى – بالأخص – بالجانب المفهومي "للدّال"؛ فيتناول ضمن مباحثه العلاقة التي يقيمها "المدلول" مع الأشياء، وعلاقته ببقية المدلولات داخل السّياق اللّغوي. يوضح موريس أبو ناضر ذلك بقوله: "يعرف علم المعاني أو علم الدّلالة بأنّه العلم الذي يعنى بدراسة الدّلالات الألسنية، وعلى الأخصّ الجانب المعنوي من هذه الدّلالات؛ أي المدلول، والمدلول يدرس على ضوء هذا العلم من عدّة جوانب:

أ – الجانب الأوّل: يتمثّل في العلاقات التي يقيمها المدلول مع الأشياء التي يومئ إليها أو يعبّر عنها (المفاهيم – العواطف – معطيات العالم الخارجي).

ب – الجانب الثّاني: يتمثّل في العلاقات التي يقيمها المدلول مع غيره من المدلولات.

ج – الجانب الثّالث: يتمثّل في العلاقات التي تنشأ بين السّمات الأساسية التي تتكّون منها المدلولات(٨٩).

وأحياناً يكون للدّال أكثر من مدلول يتحدّد وفق السّياق اللّغوي، ومن ثم قد يكون المعنى أساسياً أو ثانوياً، تصريحياً أو إيمائياً، وقد يحمل الدّال قيماً دلالية تسمّى القيم التّعبيرية أو الأسلوبية، وقد التزم علماؤنا العرب الدّقة في إبانتهم عن مدلولاتهم حيث استعانوا بالسّياقات الموضّحة – قدر الإمكان – وحاولوا توظيفها بالشّكل المناسب لأغراضهم. فمثلاً يقول مورفي: "وفي بعض الحالات فإن مستوى خصوصية العلاقات تؤثر على معاني المفردات، مثلاً كلمة seat يمكن أن تعامل كمرادف لـ chair؛ لأن معانيها تتضمن أماكن الجلوس.

ففي المثال الآتي:

a. The receptionist indicated a chair where I should wait.

b. The receptionist indicated a seat where I should wait.

تبين من المثال السابق أن ما استخدم لوصف chair يستخدم لوصف seat، وهنا يكون الهدف من السياق واحداً(٩٠).

ويذهب "بيار جيرو" إلى تأكيد أنّ للكلمة معنيين؛ أحدهما تصريحي وآخر إيمائي؛ نظراً للتّداعيات التي يمكن أن تحدثها في أثناء الاستعمال، فأيّ كلمة قد

تستدعي قيماً اجتماعية أو ثقافية أو حتى قيماً انفعالية، تعكس صورة قائلها وتحدد بعض ملامح الجانب النفسي فيه(٩١).

وتوصّل علماء الدّلالة في العصر الحديث، إلى تصنيف للمدلولات بالاعتماد على عدّة طرق، حدّدها موريس أبو ناضر، منها:

١ – الطّريقة الشّكلية: وهي تعني تصنيف المدلولات وفقاً للشّكل الذي يجمعها في بنية واحدة بتفرّعها عن أصل واحد يبرز القرابة بينها مثل: علم – يعلم – تعليم – معلم...

٢ – الطّريقة السّياقية: وتفيد أنّ المدلولات تصنّف باعتبار المعنى الذي ترد من خلاله في السّياقات المختلفة.

٣ – الطّريقة الموضعية: وهي تعني أنّ المدلول يتحدّد من خلال الموضع والموقف الذي يكون فيهما المتكلّم.

٤ – الحقول الدّلالية: وهي تكشف عن القرابة المعنوية بين المدلولات.

٥ – التّحليل التّكويني: وهو يفيد أنّ المدلول يعيّن انطلاقاً من مؤلفات الكلمة الأساسية أو ما يطلق عليه باللكسيم "مثل لكسيم" امرأة يحوي المكوّنات التالية: أنثى + بالغ + بشر(٩٢).

أما دراسة (المرجع) عند علماء الدلالة فإنها لم تحسم ذلك الجدل الدائر حول تحديد الموجودات في عالم الأعيان؛ بحيث إنّ المرجع الذي يحدّد في السّياق اللّغوي أو في الصّيغة المعجمية لا يمكنه أن يحيل إلى الشّيء المعيّن في العالم الخارجي إحالة دقيقة، ذلك أنّ الموجودات في العالم الخارجي، تتميّز بالتّصنيف المتعدّد والمتداخل حتى داخل الحقل الواحد الذي يضم موجودات متماثلة؛ ذلك "أن التّحديد المرجعي يقع في خطأ اعتبار علاقة: دال– مدلول علاقة تسمية (...) في حين يتعين علينا أوّلاً عند إقدامنا على وصف المدلول، استنباط الصّفات المشتركة التي تلازم (المراجع) التي قد ينطبق عليها (دليل) ما، فكوننا قد شاهدنا كرسياً واحداً، لا يخبرنا بالخصائص (الفيزيائية والوظيفية) اللصيقة بمجموعة لا متناهية من الأشياء التي تكوّن جنس الكرسي".

مصادر مادة (الفرْق)

استقى قطرب مادته من لُغة العرب: أشعارهم وأمثالهم، ولم نجده يشير في نقوله إلى اسم مُصنّفات نقل عنها، بل اكتفى بذكر أسماء بعض العلماء ممّن استشهد بآرائهم في مواضع متفرّقة من كتابه، ولعلَّ السبب في ذلك هو أنّ قطرباً رائد التّأليف في هذا الفن وهو لو لم يتوفّر على مادة كافية لتأليف مثل هذا الكتاب لم يكن ليؤلفه؛ حيث إنّه لم يُسجِّل إحالاتٍ إلّا فيما يخصُّ ما استشهد به من قرآن أو شعر؛ لأنَّ بحثه أصيل في مجاله، ونظرة منّا إلى مؤلّفات قطرب تكفي لتبرهن أنّه لم يكن بحاجة لأن ينقل عن غيره؛ فقد ألّف في الأزمنة والأصوات وخلق الإنسان وخلق الفرس، وكلّها مؤلفات ذات صِلة بموضوع الفرق. وفيما يلي قائمة بأسماء العلماء الذين ذكرهم وأخذ عنهم، وقد رتّبتهم وفق عدد مرّات الاستشهاد بهم وليس ترتيباً زمنيّاً:

١ – يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ): وهو أستاذ قطرب؛ حيث اختصَّ به دون غيره من العلماء[٩٣]، وقد استشهد برأيه في ستّة مواضع من كتابه. ومثاله: "وزعمَ يونس بن حبيب: أنَّ الفم لكل شيء"[٩٤].

٢ – أبو طفيلة الحِرمازي (ت؟) وهو: أبو علي الحسن بن علي، من ثقات الأعراب وعلمائهم، له من الكتب: خلق الإنسان[٩٥]. ومثال ما نقله عنه: "وقالوا في الفرس الأنثى: أُهِيبْ أُهيبْ فيما زعم أبو طفيلة"[٩٦]. وقد استشهد برأيه في أربعة مواضع من كتابه.

٣ – نهشل بن زيد أبو خيرة العدويّ (ت؟) أبو خيرة الأعرابي نهشل بن زيد، صنّف في الغريب فأخذ النّاس عنه، وله من الكتب: كتاب الحشرات[٩٧]، وقد استشهد برأيه في موضعين فقط، ومثال ما نقله عنه: "ويُقال له من ذي الحافر: "النخرة، فيما زعم أبو خيرة العدويّ: أن النّخرات أنف الفرس والحمار"[٩٨].

٤ – أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)[٩٩]، ونقل عنه مرة واحدة.

٥ – أبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، ونقل عنه في موضع واحد فقط.

وهكذا، فإنَّ قطرباً قد روى عن لُغويي المدرسة البصرية مثل يونس وأبي عُبيدة. والكوفيّة مثل ابن الأعرابي، وروى عن الأخفش وهو بصريّ يلتقي مع الكوفيين، وسجّل ما روى عن أعراب فصحاء، واستشهد بالقرآن الكريم، وبأمثال العرب، ونسب بعض الألفاظ والاستعمالات إلى لغات القبائل العربيّة مثل بني أسد والأزد وبني تميم وطيئ وقيس، واستشهد بالحديث الشّريف أحياناً. ولا بُدّ أنّ قطرباً قد استفاد من الرّسائل اللُّغوية الصّغيرة التي أُلّفت حول الإبل والخيل والشّاء وخلق الإنسان وكتب الغريب والأضداد وغيرها.

وهذا يُبيّن أنّ قُطرباً قد اعتمد في تحصيل الألفاظ ومعانيها على مصدر أصلي هو السّماع، حيث "كان المعجميون العرب الأوائل يقتصرون على الاستشهاد من الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي في عصره الأوّل، بل على وجه الخصوص الشّعر الجاهلي والقرآن الكريم"(١٠٠). ومثاله قوله: القِرْطمتان، ولم أسمعه من العرب في شعر.."(١٠١).

نشأة علم الدلالة

اهتم العرب منذ جاء الإسلام باللغة العربية أيما اهتمام، واعتنوا بها غاية الاعتناء، فتوزع الاهتمام بينهم في كل منحى ومجال، فاهتموا باللفظ وشغلهم المعنى، وراحوا يتدارسون الأمر حتى امتلأت كتب اللغة بنظراتهم التي بدأت تؤسس لظهور نظريات مستقلة ذات شأن وقيمة في موضوعاتها ومنهجياتها، فأصبحت لهم نظريات نحوية وأخرى بلاغية وأخرى نقدية. واستطاع العرب بفضل المنهجية العلمية التي استخدموها في دراساتهم أن يؤسسوا لنظرية لغوية عربية تحمل روح الفكر العربي الإسلامي، و"ليس من مبالغة في القول أن الفكر العربي استطاع أن يتوصل في مرحلته المتأخرة إلى وضع نظرية مستقلة وشاملة يمكن اعتبارها أكمل النظريات التي سبقت الأبحاث المعاصرة". فالأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري، بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم؛ لأنّها مدينة "للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان"[١٠٢]. حيث تمكّن العرب من صياغة ذلك الفكر الدلالي العربي، الذي أرسى قواعد تعد الآن المنطلقات الأساسية لعلم الدلالة وعلم السيمياء على السواء "بل إنك لا تجد كبير فرق بين علماء الدلالة في العصر الحديث وبين علماء العرب القدامى الذين أسهموا في تأسيس وعي دلالي هام، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين وعلماء الأصول والفقهاء والأدباء"[١٠٣]، فتراكم الخبرات اللغوية العربية فيما يخص علم الدلالة مهد الطريق في وقت مبكر لظهور بذور نظريات دلالية مهمة تبلورت فيما بعد على أيدي كبار علماء العربية، "فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التأريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها". "إن هناك مظاهر لتناول دلالي في كتب اللغة العربية، وكذلك في مصنفات

أدبية عولجت فيها مشكلات المعنى، وزوايا دلالية ... إن لدينا معطيات (لعلم الدلالة العربي) وخاصة في الجانب التطوري"(١٠٤).

إلّا أنّ العرب لم يتوصّلوا إلى المصطلح الذي يمكن أن يُدرجوا تحته بحوثهم فظلّت تلك البحوث تتنازعها علوم البديع تارة وعلوم المعاني تارة أخرى وعلوم النّحو أحياناً، وهذا الأمر كان عامل تشتيت لتلك الجهود العظيمة المبذولة.

أما بالنسبة إلى الغربيين فقد تبلور مصطلح الدلالة في صورته الفرنسية Semantiqe على يد عالم اللغة ميشال بريل .Breal M صاحب أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى في كتابه Essai de Semantiqe عام ١٨٩٧م. يقول "بريل": "إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم، لقد اهتم معظم اللسانيين بشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أن هذه الدراسة تستحق اسماً خاصاً بها، فإننا نطلق عليها اسم "سيمانتيك" للدلالة على علم المعاني"(١٠٥).

لقد توصل العرب إلى تشكيل ملاحظهم الدلالية التي توزعتها مؤلفاتهم اللغوية؛ حيث جمع علماء اللغة المفردات والألفاظ، وحاولوا أن يدرسوها وفق منهجيات مختلفة، أدت بهم في نهاية الأمر إلى الوصول إلى أعتاب نظريات دلالية مهمة، سبقوا بها غيرهم من الأمم إلا أنه لم يكتب لها أن تعزى إليهم لأسباب عدة، من بينها بل من أهمها غياب المصطلح العلمي الدقيق الذي يضع كل شيء في نصابه الصحيح فلا يظل هناك مجال للخلط أو للبس.

يقول ميشال زكريا: "أمّا علم الدلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى فيبحث مثلاً في تطور معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية المختلفة"(١٠٦).

التّطور الدّلالي

إنّ التّغير الدّلالي ظاهرة طبيعيّة، يمكن رصدها بوعي لُغوي لحركيّة النّظام اللُّغوي المرن، إذ تنتقل العلامة اللُّغوية من مجال دلالي مُعيّن إلى مجال دلالي آخر، وهو ما يمكن أن يُدرس في مباحث المجاز، وفي حركية اللُّغة الدَّائبة قد تتخلَّف الدّلالة الأساسية للكلمة تاركة مكانها للدّلالة السّياقية أو لقيمة تعبيرية أو أسلوبية، وبذلك تغدو الكلمة ذات معنى أساسي جديد، وقد يحدث أن ينزاح هذا المعنى بدوره ليحلّ مكانه مفهوم آخر، وهكذا يستمر التَّطور الدَّلالي في حركة لا متناهية تتميّز بالبطء والخفاء. يشرح "بيار جيرو" ذلك بقوله: "يتغيّر المعنى لأننّا نعطي اسماً عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية، إنّنا نُسمّي الأشياء ويتغيّر المعنى لأنّ إحدى المشتركات الثّانوية (معنى سياقي، قيمة تعبيريّة، قيمة اجتماعيّة) تنزلق تدريجيّاً إلى المعنى الأساسيّ وتحلّ محلّه فيتطوّر المعنى"(١٠٧).

وأهم عوامل التّطور الدّلالي:

١ – العامل الاجتماعي الثّقافي.

٢ – العامل النّفسي.

٣ – العامل اللُّغوي.

التَّطور الدَّلالي في (فرق) قطرب:

يُنبّه قطرب في فرقه على ظاهرة التّطور الدّلالي، وذلك في الحالات التي يتمّ فيها تبادل بعض المسميّات بين حيوان وآخر أو بين الحيوان والإنسان مثلاً: "ويقال منسِمُ النعامة كما قيل في البعير". وقوله: "والظُّفر: يصلح لذلك كله، ما كان من الجوارح وما لم يكن"(١٠٨).

وهو بذلك يُنبّه على ظاهرة مُهمّة تعتري كل اللُّغات وهي ظاهرة التّطور الدّلالي؛ إذ لا يوجد ثبات في المفردات، فهي مُتغيّرة يحدث بينها تبادل واستعارات،

وهو بهذا يعي تماماً أنّ وجود الفروق الدّقيقة بين الكلمات التي تُعطي كل منها هُوية مُتميّزة واضحة لا يمنع من التّبادل بينها؛ حيث "يقتربُ معنى من معنى آخر في أثناء الاستعمال، فالكلمة أثناء تداولها ودورانها وما يعتريها أثناء ذلك أشبه ما تكون بالدّوائر المتقاطعة، فكلّ دائرة فيها تشترك مع الأخرى في جزء من سطحها، وأحياناً تنطبق على أخرى تمام الانطباق، وبذا تنتقل كلمة من مجالها إلى مجال آخر تمتُّ له ببعض الصِّلة"(١٠٩).

وهو يشير أيضاً إلى تطوّر يتّصل بتوسيع المعنى؛ أي (تعميم الخاص)؛ حيث يكون لدينا كلمة تدلُّ في أصل وضعها اللُّغوي على معنى مُعيّن خاص بها ثم يحدث اتّساع في دلالتها، فتتحول إلى أن تشمل معاني عدة؛ فمثلاً كلمة (فم) من أعضاء الوجه الخاصة بالإنسان وله ما يقابله عند الحيوانات وعند الطيور؛ فهي الجحفلة من ذوات الحافر، والمشْفر من ذوات الخف، والمقمّة والمرمّة من ذوات الظِّلف، والخطم والخُرطوم من ذوات البراثن، والمنقار والمِخْجَنة من ذوات الجناح، لكن يونس بن حبيب (١٨٢هـ) – كما ذكر قطرب في (الفرق) – زعم "أن الفم لكل شيء"(١١٠)؛ فهو قد لجأ إلى التّوسع في دلالاتها فصارت عنده صالحة للإطلاق على كل شيء من الطير والحيوان، وهو بذلك مستند إلى واقع الاستعمال اليومي لها، كما قد ورد ذلك في الشّعر.

وهو يُنبّه على أن الشّعراء أسهموا في تبادل الدلالات وتغيرها فيقول(١١١): "وقد قال في ذلك الرَّاعي(١١٢) أيضاً فجعل للنعامة خُفاً، قال:

ورِجلٍ كرِجْل الحذريّ يشلّها وظيفٌ على خُف النَّعامة أروحُ

وهو بسوقه لمثل هذه الأمثلة يؤكِّد أنَّ "الألفاظ أثناء هذا الانتقال تُضحّي ببعض الفروق في الدّلالة حتى تستقيم موسيقاها، فبعد أن كانت تُعبّر عن معانٍ مُتقاربة، زاد القرب واختلط بعضها ببعض ونُسيت تلك الفروق أو تُنوسيت، وأصبح العربي صاحب الأذن الموسيقيّة يُضحّي بتلك الفروق في الدّلالات حتى يتمكّن من نظم قوافيه وتنظيم أسجاعه"(١١٣). ونجد السُّيوطي ينقل عن قطرب في موضع آخر

ما يؤيد رأيه بالقول: "إنما أوقعت العرب اللّفظين على المعنى الواحد ليدلّوا على اتّساعهم في كلامهم. كما زحفوا في أجزاء الشّعر ليدلّوا على أنّ الكلام واسع عندهم وأنّ مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب"(١١٤). واتجه علم الدلالة في العصر الحديث إلى تمثّل المنهج الوصفي في بعض مراحل الدّراسة خاصّة فيما يتعلّق برصد تطّور الدّلالة وتغيرّها وبناء الحقول الدّلالية. يقول ميشال زكريا: "أمّا علم الدّلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللّغوي، يتناول كل ما يتعلق بالدّلالة أو بالمعنى، فيبحث مثلاً في تطوّر معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدّلالية المختلفة"(١١٥).

نظرية الحقول الدّلالية

تُعدّ هذه النّظرية من أهم النّظريات التي اهتمّت بدراسة المستوى الدّلالي للُّغة وتقوم دراستها لمفردات اللغة طبقاً لما أودع الله العقل البشري من قدرة على تداعي المعاني؛ إذ إنَّ الحقل الدّلالي يتكّون من مجموعة من مُفردات اللُّغة تخضع في مجموعها لمعنى واحد عام تدور في فلكه هذه المفردات، والحقل الدّلالي كما يعرفه "أولمان": "هو قطاع متكامل من المادة اللُّغوية يُعبّر عن مجال مُعيّن من الخبرة، وهو مجموعة من مفردات اللُّغة تربطها علاقات دلالية وتشترك جميعاً في التّعبير عن معنى عام يُعدُّ قاسماً مشتركاً بينها جميعاً مثل الكلمات الدّالة على الألوان والكلمات الدّالة على النبات...إلخ"(١١٦).

وتقول هذه النّظرية إنّه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة الكلمات المتّصلة بها دلالياً. وهدف التّحليل للحقول الدّلالية هو جمع كل الكلمات التي تخصُّ حقلاً مُعيّناً والكشف عن صلاتها الواحدة منها بالأخرى، وصلاتها بالمصطلح العام أو بالمعنى العام الذي تنضوي تحته هذه الكلمات، ويتّفق أصحاب هذه النّظرية على مجموعة من المبادئ، منها:

١ – لا وحدة مُعجميّة عضو في أكثر من حقل.

٢ – لا وحدة مُعجميّة لا تنتمي إلى حقل معين.

٣ – لا يصحُّ إغفال السّياق الذي ترد فيه الكلمة.

٤ – استحالة دراسة المفردات مُسْتقلّة عن تركيبها النّحوي، وهذه النظرية بهذه المبادئ تحاول شمول جميع مفردات اللغة بضم كل مفردة إلى حقل دلالي مُعيّن، كما أنها تحرص على اعتبار السِّياق ضمن اهتماماتها عند دراسة الكلمة، وهي بذلك تضم إلى أهميتها أهمية نظرية السِّياق، وتهتم بالعلاقات الدلالية، ومن نماذج هذه العلاقات ما يُقدمه لنا اللغوي الأمريكي "سيدني لامب":

١ – قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من دلالة، وهو ما يُسمى بتعدد المعنى أو المشترك اللفظي مثل كلمة العين.

٢ – إن بعض الكلمات المختلفة قد تُعطي مدلولاً واحداً، وهو ما يسمى بالترادف.

٣ – بعض الكلمات يعطي دلالة مُركبة مثل كلمة ريم التي تدلّ على غزال + أنثى.

٤ – هناك كلمات إذا رُكبت معاً أصبحت لها دلالة مختلفة تماماً عن دلالاتها ساعة إفرادها ومن ذلك:

أ – جناح المسلمين للدلالة على البريد في العصر العباسي.

ب – رأس المال.

٥ – هناك ثنائيات من الكلمات تدل إحدى الكلمتين في كل منهما على عكس الأخرى مثل: كبير وصغير، طويل وقصير.

٦ – هناك بعض الكلمات تتضمن دلالة كلمات أخرى، ومثال ذلك كلمة حيوان التي تتضمن الإنسان وغيره من أنواع الحيوانات.

٧ – بيان علاقة الجزء بالكل مثل علاقة الرأس بالجسد والغصن بالشجرة؛ فالرأس جزء من الجسد وليس نوعاً منه[١١٧].

ولم تتبلور فكرة الحقول الدلالية إلا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن المنصرم على أيدي علماء سويسريين وألمان، وكان من أهم تطبيقاتها المبكرة دراسة Trier للألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة، كما قام علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون بتطبيقات متنوعة لهذه الفكرة، وبخاصة في مجالات القرابة والنبات والحيوان والألوان والأمراض، ولعلّ أشهر معجم أوروبي صنف على أساس الموضوعات أو المفاهيم – وقد سبق نظرية الحقول الدلالية – المعجم الذي قدمه Roget لكلمات اللغة الإنجليزية وعباراتها (١٨٥٢م)[١١٨]، وذكر في مقدمته: أنه "مرتب لا على حسب النطق، ولا على حسب الكتابة، وإنما على حسب المعاني"، حيث إنّ أوّل معجم عربي متكامل صُنف على أساس الموضوعات هو مخصص ابن سيده

(ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)؛ أي قبل الأوروبيين بسبعة قرون. ويعدُّ هذا العمل الضخم أكمل صورة لفكرة المجال الدلالي على الرغم من المآخذ التي يُمكن أن تسجل عليه(١١٩).

إن نظرية الحقول الدلالية، قد أسهمت بشكل بارز في إيجاد حلول لمشكلات لغوية كانت تعتبر إلى زمن قريب مستعصية، وتتسم بالتعقيد، ومن جملة تلك الحلول الكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي، وتسمى هذه بالفجوة الوظيفية؛ أي عدم وجود الكلمات المناسبة لشرح فكرة معينة أو التعبير عن شيء ما، كذلك إيجاد التقابلات وأوجه الشبه والاختلاف بين الأدلة اللغوية داخل الحقل الدلالي الواحد، وعلاقتها باللفظ الأعم الذي يجمعها. ويمكن – بناء على ذلك – إيجاد تقارب بين عدة حقول معجمية. كما تتمثل أهمية الحقول الدلالية في تجميع المفردات اللغوية بحسب السمات التمييزية لكل صيغة لغوية، مما يرفع ذلك اللبس الذي كان يعوق المتكلم أو الكاتب في استعمال المفردات التي تبدو مترادفة أو متقاربة في المعنى، وتوفر له معجماً من الألفاظ الدقيقة الدلالة التي تقوم بالدور الأساسي في أداء الرسالة الإبلاغية أحسن الأداء(١٢٠).

"ولا ريب في أن عمل اللغويين العرب القُدامى يختلف عن مثيله لدى الأوروبيين في العصر الحديث، لأسباب، أهمها الزمان وتوسع آفاق الدرس وعمق تقنياته ومناهجه، وليس في هذا ضير يلحق بهم، إذ كانوا في عصرهم سباقين مبتكرين، وما زال في آثارهم كثير من الأفكار الرائدة"(١٢١).

إن التراث اللغوي العربي غني بعدد من المعاجم التي سارت وفقاً لنظرية الحقول الدلالية؛ فنحن "حين نتصفح كتب التراث اللغوي نلاحظ وجود معجمات كثيرة سارت على هذا الاتجاه، ومن أهمها:

١ – الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٤٤هـ).

٢ – الألفاظ الكتابية، لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (ت ٣٢٠هـ).

٣ – جواهر الألفاظ، لقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ).

٤ – التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ).

٥ – فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي (ت٤٢٩هـ).

٦ – المخصص، لابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨هـ). ويعد هذا المعجم من أكبر المعاجم في هذا الاتجاه.

والمعجمات السابقة تبين لنا أن القدماء سبقوا المحدثين في هذا الاتجاه.

(فرق) قطرب ونظرية الحقول الدّلالية

إنّ أهميّة (فرق) قطرب تنبثق أوّلاً من كونه أوّل تأليف يصل إلينا في موضوع الفرق بين الإنسان والحيوان والطّير؛ حيث إنه قد وُضِع في وقت مُبكّر، وثانياً من قيمته العُظمى في مجال علم الدّلالة؛ "فالعربيّة ذات تاريخ مُمتدّ وهذا التّاريخ المُمتدّ، قد أوجد مجالاً واسعاً لظواهر التّغير الدّلالي، ومن هنا فإنّ قدراً من معرفتنا بالجوانب الدّلالية في العربيّة لا يعتمد على مُستعملٍ فعلي على ألسنة النّاس يمكن اختباره استبانياً، وإنّما هو مُستمّد من معرفة "المدوّنات النّصية" التي أنتجت بهذه اللغة أو من معجماتها "اللّفظيّة" التي كان هدفها الأساسي جمع المادة المعجمية وترتيبها وفق التّرتيب الصّوتي أو الهجائي أو وفق الأبنية، أو غير ذلك الموضوعية التي قامت على فكرة جمع الألفاظ التي تدور حول (موضوع) مُعيّن، وهي فكرة قريبة من فكرة "المجالات الدّلالية" إلا أنّ هذه المعجمات لم تكن تهتم بإظهار العلاقات الدّلالية بين المفردات التي تُشكلّ فيما بينها بنية متشابكة لموضوع "المعنى" الذي تنتمي إليه"[١٢٢].

ومن اللّافت للنّظر تلك الملاحظ الدّلالية المبكّرة التي نجدها مُتمثّلة في كتب الفروق اللُّغوية. وكتاب (الفرق) يشير بما يقطع الشَّك إلى أنّ "اللّغويين العرب القدامى قد اهتدوا في فترة مُبكّرة إلى تصنيف المدلولات في حقول دلالية ومفهومية، فكانت لهم الرّيادة في هذا المجال، وتأليفهم الرّسائل ومعجمات المعاني والفروق في اللّغة دليل على طريقتهم التّصنيفية للمعاني"[١٢٣]. فكتبُ الفروق تأتي نموذجاً لمعجمات المعاني أو الموضوعات وقد حوت تصنيفاً للحقول الدّلالية.

وعلى الرّغم من أنّ قطرباً لم يُشر في فرقه من بعيد أو قريب إلى أيّ مصطلح دلالي حديث، فإنّ عمله يؤكد تنبّهه إلى ملاحظ دلالية مُهمة دفعته ليؤسس وفقاً لها كتابه.

لقد توافرت لدى قطرب مادة لغوية غنيّة، وتوافرت لديه عقليّة علميّة فذّة بحث لها عن السّبيل الأمثل للتّصنيف والتّبويب والتّنظيم؛ ما أدى إلى إخراجه كتابه بالشّكل الذي وصل به إلينا، ويبدو أنّ قطرباً قد انطلق من رؤية مفادها أنّه على الرغم من استخدام العامّة مُستوى لُغوياً مُعيناً خلطت فيه بين الدّلالات المعينة فإنه لابدّ من إدراك الفروق بين تلك الدّلالات التي قد لا تعني سوى المختص أحياناً؛ لأنّ العربيّة لغة دقيقة راقية تميل إلى إعطاء مدلول واحدٍ لكل دالّ". ولقد آمن فلاسفة القرن السّابع عشر بأنّ "اللُّغة المثالية هي التي تُعطي علامة لكلّ فكرة مُهمّة، وهي التي تجعل كل علامة تقف إزاء الفكرة التي تدلُّ عليها بشكل ثابت ومحدد"(١٢٤). بينما وصلت اللُّغة العربيّة فعلاً إلى ذلك المستوى الّذي كان فيه لكل دالّ مدلول واحد فقط. وما كتب الفرق إلّا تأكيد لبلوغ العربيّة في دقّتها الحدّ الذي مايزت فيه بين المدلولات، وأوجدت بينها فروقاً اقتضتها طبيعة تلك المدلولات.

ويتّضح لنا أنّ قطرباً عندما صنّف كتابه وبوّبه كان يسير على خُطّة مُعيّنة، طبّقها في طريقة تبويب وتنظيم لم يسبقه إليها أحد؛ لأنّه صاحب أوّل مؤلف في الفروق – على حدّ علمنا – ولعلّه من المدهش حقاً أن نجده اتّبع في تصنيفه منهجاً جديداً لم تعرفه الدِّراسات اللُّغوية إلّا في فترات متأخرة، ألا وهو تصنيف اللُّغة إلى حقول دلالية.

لقد صنّف قطرب كتابه في القرن الثّاني الهجري؛ أي بُعيد تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي لأوّل معجم عربي، ووضعه في زمن شاع فيه تأليف الرّسائل اللُّغوية التي تجمع فيها ألفاظاً مُتّصلة بموضوعٍ واحد، مشكّلة بذلك مع غيرها من الرّسائل اللغوّيـة بدايات المعجمات الموضوعيّة العربيّة، وبدايات لنظرية دلالية عربيّة ترسّخت فيما بعد تطبيقاً وممارسة في أضخم معجمات الموضوعات العربيّة، وهو مُخصّص ابن سيده.إلا أنّ تلك النّظرية ظلّت نظرات وضعها أصحابها في مؤلّفاتهم دون أن يشكّلوها في نظرية مكتملة النّمو تُنسب إليهم؛ "فلقد اهتدى اللُّغويون المسلمون إلى فكرة المجال الدّلالي، وفطنوا إليها وسبقوا بها الأوروبيين بعدة قرون،

وإنْ لم يعطها أحدٌ منهم هذا الاسم، فالرّسائل التي قام بتصنيفها اللُّغويون المسلمون اقتصر بعضها على مجال دلالي واحد كخلق الإنسان، والإبل والخيل والشّاء والوحوش والحشرات والنبات والمطر، والأزمنة، كما اشتمل بعضها على أكثر من مجال دلالي، كما وصل بعض هذه المؤلفات إلينا تحت عناوين مختلفة مثل: كتب الصفات، الغريب، الألفاظ "[١٢٥].

إن قُطرباً قد تفطّن في وقت مبكر إلى الحقول الدلاليّة وإنْ لم يُشر إلى المصطلح في تأليفه. فقد اشتمل كتابه على واحدٍ وعشرين باباً، تندرج تحت المجالات الدلالية الآتية:

١ – خلق الإنسان: وفيه تدخل الكلمات المنضوية مثل طفل / إنسان، والكلمات التي تدخل في علاقة تضاد حادّ (ذكر /أنثى).

٢ – الحيوانات: أنواعها: ذوات الظّلف، ذوات الحافر، ذوات البرثن، ذوات الجناح (تضاد انتسابي).

٣ – الأصوات (علاقات اقتران أفقي) يُعبر عنها نحوياً بالمضاف والمضاف إليه: صهيل الخيل، نُباح الكلب.

وقد تنبّه قطرب إلى وجود فروق بين المفردات؛ فلكلّ لفظةً معنىً خاص وهُوية خاصّة تُميّزها عن غيرها من الألفاظ ضمن الحقل الدلالي الواحد؛ لذلك يمكن وصف الفرق في كل عضو على أساس اختلاف الكائن الحي؛ فالأنف عند الإنسان يقابله الخرطوم أو الخطم عند ذوات البرثن، والمنقار عند ذوات الجناح...إلخ.

ونحن عندما نبحث في مجال خلق الإنسان نجد أنَّ كتب الفرق قد جمعتْ ألفاظاً وصنّفتها ضمن حقولٍ مُختلفة، ومن الحقول الدّلالية التي احتواها (فرق) قطرب حقل الإنسان: النّكاح وفرع الحمل والولادة وما يخرج من الولد والرّضاع والفطام.

إنّ الدّارس لكتب الفرق يلحظ أنّ هناك تشابهاً جُزئياً بين تصنيف تلك الكتب والمبادئ الأساسيّة التي قامت عليها نظرية الحقول الدّلالية، ولعلّ أبرز وجوه الشّبه تلك هي:

١ – انضواء ألفاظ الفرق جميعها تحت أبواب تؤدي فكرة الحقل وتتناسب معه، فلا يوجد في الفرق وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين، نحو: حقل الحيوانات، ويتوزّع إلى: حقل ذي الخف، وحقل ذوات الظلف، وحقل ذوات الحافر، وحقل ذوات البراثن، وحقل الطيور، وحقل الحشرات.

٢ – لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل؛ فألفاظ الفرق وزعت في الحقول المناسبة لها.

٣ – لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة، وقد مر بنا سابقاً كيف اهتم قطرب بالسياق من خلال:

أ – الأمثلة المتعددة التي كان يسوقها دليلاً على استخدام الألفاظ أو توضيحاً لمعانيه.

ب – عنايته بالشواهد وتوضيح المعاني الصعبة فيها.

وهكذا يتضح من بعض الدراسات اللُّغوية الحديثة أنّ المجال الدلالي يشمل ألفاظاً تشترك في معنى عام، ولكنها لا تتطابق دلالياً؛ فمثلاً "مجال الحبوب" يشمل الأسماء: شعير، حنطة، أرز، عدس، وهذه الأسماء لا تدل على معنى واحد، أما التّرادف فإنه يشمل ألفاظاً تدل على معنى واحد.

العلاقات الدّلالية في (الفرق)

درس لغويو العرب الوحدة الدلالية وفق مستوياتها المتعددة؛ الصّوتي والصّرفي والنّحوي والدّلالي، ووظائفها داخل الأبنية اللغوية، وكشفوا عن تنوّعاتها المختلفة؛ الأمر الذي يقترب من منظور العلاقات الدّلالية في أفقها المحدث وتحليلاتها. بيد أنّهم وجّهوا دراساتهم على أساس منهجي أُحادي الجانب ينصرف إلى دراسة اللُّغة العربيّة تخصيصاً. وتتمثل العلاقات الدلالية في اللغة العربية في:

أ – تعددية الدلائل أو ما يطلق عليه Synonym.

ب – تعددية المدلولات أو ما يطلق عليه بـ Polysemy.

ت – تقابلية الدلالات أو ما يطلق عليه Antonym.

ث – تصاهر الدلائل أو ما يطلق عليه .Goinag.

إنّ هذه العلاقات وثيقة الصّلة بعضها ببعض وتتفق على مسعى لغوي واحد، هو الكشف عن الوشيجة الترابطية بين الدال والمدلول، من خلال التنوعات المصاحبة[١٢٦]. ويحتوي نظام الحقول الدلالية على أنواع شتى من الكلمات، منها المترادفة والمتضادة والمشتركة، وقد اهتم أصحاب نظرية العلاقات داخل الحقل المعجمي ببيان أنواع العلاقات داخل كل حقل منها؛ وذلك لأهميتها في تحليل مفردات اللّغة[١٢٧]. فالكلمات داخل الحقل الدّلالي الواحد إمّا أن تكون في حالة تشابه في المعنى، وإمّا أن تكون في حالة اختلاف، فإنْ كانت في حالة تشابهٍ فهي إمّا في حالة ترادف (رأى، أبصر)، وإمّا في حالة انضواء (عصفور، طائر) وإنْ كانت الكلمات في حالة اختلاف في المعنى، فهي في حالة تضاد حاد (طفل، طفلة)، أو تضاد متدرج (شجاع، جبان) أو تضاد عكسي (علّم، تعلَّم) أو تضاد عمودي (شمال، غرب)... فجميع علاقات التّشابه والاختلاف بين معاني الكلمات هي علاقات بين الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد[١٢٨]. ولقد اهتم أصحاب نظرية الحقول ببيان أنواع العلاقات بين كلمات الحقل اللّغوي الواحد؛ إذ إنّ وجود كلمات مختلفة في مجال دلالي

واحد يجعل من الضرورة تحديد العلاقات التي تربط بين الكلمة وما جاورها من ألفاظ في المجموعة الدلالية الواحدة.

إنّ الكلمات المترادفة غالباً ما تقع في حقل واحد، والكلمات المتقابلة تقع في حقل واحد، وتقع الكلمات المشتقّة من جذر واحدٍ في حقلٍ واحدٍ، ويحوي كتاب (الفرق) ثروة لغوية هائلة، وقد ظهرت فيه بعض تلك العلاقات الدلالية بين المفردات "إنّ بعض الباحثين يرون أنّ معجمات المعاني تُرمى بمثالب، منها: التّجافي عن بيان العلاقات بين كلمات الحقل الدّلالي الواحد، وعن بيان أوجه الشّبه والخلاف بينها"(١٢٩).

لكن أوّل ظهورٍ للعلاقات بين الكلمات تلك هو العنوان الجامع، وفي هذا العنوان إشارةٌ إلى اشتراك ألفاظ الحقل الدّلالي بملمح أو ملامح مُعينة؛ فمثلاً باب الذّكر والأنثى ألا يشير صراحة إلى علاقة التّضاد، وأبواب الفم والأنف واليد والرّجل، من أعضاء جسم الإنسان ألا تُشير صراحة إلى الاشتمال: "فالعلاقة بين جُل كلمات الحقل الدلالي الواحد موجودة ضِمناً في تلك الحقول، ودليل ذلك أن القارئ في كثير منها يعي الفرق بين تلك الدلالات معتمداً على أوْجه الشبه والخلاف التي تظهر في ثنايا سطور الحديث عنها"(١٣٠).

ويحتوي نظام الحقول الدّلالية أنواعاً شتّى من الكلمات، منها المُترادفة والمُتضادة والمُشتركة، وقد اهتمّ أصحاب نظرية العلاقات داخل الحقل المعجمي ببيان أنواع العلاقات داخل كل حقل منها؛ وذلك لأهميتها في تحليل مفردات اللغة(١٣١). فالحقل الدّلالي "مجموعة من الألفاظ التي تندرج تحت معنى عام، وهذا المفهوم يبيّن لنا أنّ الحقل الدّلالي لا يخرج هيكله عن إطار العلاقات الدّلالية"(١٣٢).

وأهمّ تلك العلاقات: التّرادف، والمشترك اللّفظي، والتّضاد، والاشتمال، وعلاقة الجزء بالكل، والتنافر.

أوّلاً – التّرادف:

يُعرِّف "ستيفن أولمان" المترادفات بأنها" ألفاظ مُتّحدة المعنى وقابلة للتّبادل

فيما بينها في أي سياق. واشتراط قابلية التبادل بين الألفاظ في كل سياق، يؤدي في نهاية المطاف إلى عدم إمكان التبادل بين الألفاظ إلّا في الحدود الضيقة جداً؛ مما يجعل المترادفات – في حقيقتها – ليست أكثر من أنصاف أو أشباه مترادفات؛ لأنّ الألفاظ غالباً لا تُستعمل في السِّياق الواحد أو الأسلوب الواحد من غير تمييز أبداً"(١٣٣)، وبالنّسبة إلى قطرب جاءت استعانته بالمترادفات من أجل تفسير مفرداته الأساسية وتوضيحها فمن غير الممكن أن يوضّح معنى لفظة دون الاستعانة بلفظة أخرى "فالألفاظ المترادفة – بالإضافة إلى أنّها حقيقة واقعة ولا سبيل لإنكارها – عامل مساعد على فهم المعاني وتوضيح الأمور، وأداة طيّعة في متناول اليد تتيح لنا بيان تفصيل الأمر ودقائقه وزواياه. وإنّ هذه الألفاظ المترادفة قد يقوم بعضها مقام بعض مما يسمح لمتلقّي اللُّغة أن يستخدم ما تيسّر من ألفاظ تعينه على التّعبير عن رأيه"(١٣٤). وقد اتّبع قطرب عدّة طرق في معالجة الألفاظ المُترادفة في الفرق، وهي:

١ – أنْ يذكر اللَّفظ الأوّل، ثم يذكر لفظاً آخر ويقول (أيضاً)، مثاله: "ويقال كلب وكلبة، والفَلْحَس: الكلب أيضاً". وفي مثال آخر: "ويقال له من ذي الخف الخرطوم، ... وهو الخطم منه أيضاً"، و"ويقال له من ذي البرثن: مخلب وسبع الطائر: مخلب أيضاً"(١٣٥).

٢ – أنْ يذكر اللَّفظ ثم يذكر مرادفاته مباشرة، مثاله: "وقالوا: العَوْتَمة والهَرْثَمة: مقدّم أنف الكلب" و"الأنف هو العِرْنين، والمِرْسن: الأنف" و"العرق والنّجد" أو أن يذكر معنى اللفظ ثم يذكر مرادفاته، ومثاله: "الأُفْعوان: ذكر الأفاعي، والجَانّ، والثُّعبان والحُباب والأيم والأين"، و"والهِلْثاءة: جماعة من الناس، والثُّبة والعِزة والفِرقة واللبدة"، و"إذا وضعت العنز ما في بطنها قيل: سليل، ومليط وطلي وسَخْلة"(١٣٦).

٣ – أنْ يذكر اللّفظين المُترادفين ثم يتبعهما بقوله: "سواء" ومثاله: "والمطيع والصّديع سواء" و" ثم هو الأجْعم والأدْرم وهما سواء، وكذلك الدِّرْدِح وهو الذي ذهبت آخر أسنانه". وقد ينبه إلى الترادف في القبيلة الواحدة نحو: "والعَريض والجَذَع عند بني تميم سواء"(١٣٧).

وقد أشار قطرب إلى ألفاظ مترادفة في المعنى وليست متفقة في البنية المقطعية، وألفاظ مترادفة في المعنى وفي البنية المقطعية، لكنه لم يفرق بينها، وأورد أمثلة عليها على اعتبار أنها من المترادفات، مثل: "العوثمة والهرثمة والأجعم والدردم، والرُّؤال والرُّعال والرُّؤام في المخاط.

ثانياً – الأضداد:

وهو أن "يُعبّر اللّفظ عن معنيين ضِدين دلالة مستوية مع قرينة تُحدِّد أيهما أراد المتكّلم". ومنه التّضاد وهو أن يحمل اللّفظان معنيين مُتضادين. ويُعدُّ قطرب من أوائل علماء العربيّة الذين ألّفوا في الأضداد، ويقول في ذلك: "والوجه الثّالث أن يتّفق اللّفظ ويختلف المعنى، فيكون اللّفظ الواحد على معنيين فصاعداً ... ومن هذا اللّفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في الشيء وضده". وهو بذلك يدخل التّضاد ضمن دائرة المشترك اللّفظي."ويكون المشترك على هذا الأساس درجتين أو نوعين: الأول هو الذي تختلف فيه معاني اللّفظة الواحدة دون أن تتضاد، والثّاني هو الذي تتضاد فيه هذه المعاني فتشتد درجة الاختلاف حتى تصل إلى التّضاد"(١٣٨).

والتّضاد أنواع، منها:

أ – التّضاد المتدرّج: وهو نسبيّ يقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من التضادات الداخلية(١٣٩)، ومثله في الفرق الألفاظ الواقعة بين طفل وشيخ، وهي: طفل، غلام، يافع، مراهق، فتى، رجل، كهل، شيخ. وغيرها من ألفاظ جاءت في باب الولادة بعد الحمل. ومنه: "والهُرْنُع أصغر القمل، والخِنْبِج: أضخم القمل"(١٤٠).

ب – التّضاد الحاد (غير المتدِّرج) أو التَّام: وذلك كالعلاقة بين (ذكر – أنثى) ولهذه المتضادات يقسم عالم الكلام بحسم دون الاعتراف بدرجات أقل أو أكثر. ونفي أحد عضوي التقابل يعني الاعتراف بالآخر. فإذا قلت إن فلاناً غير متزوج فهذا يعني الاعتراف بأنه عزب؛ ولهذا لا يمكن وصف أمثال هذه المتضادات بأوصاف مثل: "جداً" أو "قليلاً"، أو " إلى حد ما". وقد وردت

أمثلته في (فرق) قطرب "ويقال: أذكرت المرأة فهي مُذْكِر، ومِذْكار إذا ولدت الذكور ... ويقال: قد آنثت فهي: مُؤنث، ومِئْناث إذا ولدت الإناث"[١٤١].

"إن العلاقات العكسية بالضرورة علاقات ثنائية مثل: dead و live، وهي مكمل بعضها لبعض أيضاً مثل: cold × hot و buy× sell، ولكن ليس بالضرورة أن تكون المجموعات العكسية ثنائية مثل: unhappy و sad و angry، أو مثل حلو، حامض، مالح"[١٤٢].

ثالثاً – التّنافر:

وهو مُرتبط بفكرة النّفي مثل التّضاد ويتحقق داخل الحقل الدّلالي إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) و(ب) لا يشتمل على (أ). أو هو عدم التضمن من طرفين"[١٤٣]، وذلك مثل العلاقة بين ذوات البراثن، وذوات الأظلاف، وذوات المخالب، ويدخل تحت التنافر ما يُسمى بعلاقة الرتبة، ومثاله عند قطرب: "إذا وضعت العنز ما في بطنها قيل: سليل ... ثم هو بَهْمة فإذا أكل من البقل، واجترّ، وشبع قيل: جَفْر ...إلخ"، ومنه "ثم يكون بعد ذلك ثَنيّاً... ثم يكون: رَباعياً ... ثم يكون: سَديساً ... ثم يكون صالغاً"[١٤٤].

رابعاً – الاشتمال:

وهو تضمّن معنى جزئي مُحدّد ضمن معنى عام[١٤٥]، مثل الفرس وذوات الأظلاف الأسد وذوات البراثن ومنه نوع أطلق عليه الجزئيات المتداخلة، وهي مجموعة الألفاظ التي يكون كل لفظ منها متضمناً فيما بعده مثل الأسد والسباع، الحمار وذوات الظلف، الناقة وذوات الخف، فظاهرة الاشتمال تتضمن العلاقة المنطقية للاستلزام... إن القول (هذه خزامى) يستلزم القول (هذه زهرة)، والقول (هذا قرمزي) يستلزم القول (هذا أحمر)[١٤٦]، وقد ظهر ذلك في تصنيف قطرب للحيوانات في (الفرْق) فضمّن كل مجموعة منها تحت لفظ واحد.

ومن الاشتمال كذلك نوع آخر هو علاقة الجزء بالكل، وتكون الكلمة فيه جُزءاً من الكل في المجموعة الدلالية مثل علاقة اليد بالجسم، وعلاقة الأنف بالوجه،

والرجل بالجسم، والفم بالوجه وهكذا. وقد ظهرت هذه العلاقات في عناوين أبواب (الفرْق) حيث بحثها بالتفصيل في هذه الأبواب.

خامساً – المُشْتَرك:

هو اتّفاق كلمتين أو أكثر في أصواتها اتفاقاً تامّاً واختلافها في المعنى(١٤٧). وقد أشار قُطْرب في بعض الأحيان إلى المشترك نحو قوله في ذوات الأظلاف: "والصّالغ: بمنزلة البازِل من الإبل" ومنه "ويقال: كلب، وكلبة، والفلحس: الكلب أيضاً"(١٤٨).

وهكذا، فقد عني قطرب بالألفاظ في كتابه وراح يُفسِّرها ويُوضِّحها مُستخدماً طُرقاً عِدّة تبين عنها وتفسرها فينجلي اللّبس، فأحياناً باستخدام التّرادف وأحياناً باستخدام التّضاد وأحياناً باستخدام المُشترك، وكلُّ ذلك في إطار العمل اللُّغوي والدّلالي العام، والدِّراسة لا تزعم هنا أنّ قطرباً قد توصَّل إلى نظرية دلالية مكتملة الجوانب بل تكتفي بالقول إنه أمسك بخيوطٍ منها، وحاول أن يحوك ما يُشبه نظرية لكنها كانت في طور النشء، ومالَ في كتابه إلى الجانب الوظيفي؛ إذ لم يُبن في كتابه عن منهجه ولم يُصرِّح بسبب تأليفه للفَرْق بل راح يعرض مادته وينسّقها ويُرتّبها وفق منهج اختطه لنفسِهِ تجلّى في الكتاب، "فمن المعلوم أنّ المفكّرين المسلمين بدؤوا بما هو عملي قبل أن يصلوا إلى وضع "منهج نظري" لكل فرع من فروع البحث، وكانت– مثلاً– قراءة القرآن عن طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تُحدِّد منهج القراءات..."(١٤٩). وعلى الرّغم منْ أنّ قطرباً لمْ يدرس العلاقات القائمة في حقوله الدّلالية فقد كان مُدركاً لتلك العلاقات من خلال العناوين العامّة التي انضوت تحتها أبوابه.

مثال على المجموعة الدّلالية في فرق قطرب:

المجموعة التي تضم الألفاظ الدالة على الجماعة من البهائم، وتقسم:

أولاً – المجموعة الدلالية (أ): وتضم ألفاظ المعدود من جماعة البهائم وتقسم إلى:

أ – من ذي الخف:

الزمزمة: "الخمسون ونحوها من الإبل، والذّوْد: فهو ثلاثة من الإبل إلى العشرة، والصِّرْمة: الثلاثون إلى الخمسين، والحُدْرة والحِزْمة: من العشرين إلى الأربعين، وقد يكون من الغنم أيضاً، والصّامت من الإبل: العشرون أو غير ذلك، والهَجْمَة: فوق الخمسين إلى المئة، و الزِّمزمة من الإبل: الخمسون ونحوها، وهُنَيْدة: مئة، والمُنى: المئة من الإبل، والحَوْمُ، والكَوْمُ، والجُرْجُور، والعَكْرَةُ، والكَوْر: ما جاوز المئة من الإبل، والعَرْجُ: خمسمئة من الإبل أو الألف، والخِطْرُ: ألف البعير"(١٥٠).

ب – من ذوات الظّلف:

الصُّبّة من المعز: ما بين العشر إلى الأربعين، والعُلَيْطَة، والنَّدْهة: المئة من الغنم وقرابتها، والطَّحُون: ثلاث مئة من الغنم، والوقير: خمس مئة منها، والقِنى والقِنْوة: المئة من المعز، والغِنى: المئة من الضّأن.

والسِّرب من البقر: ما بين العشرة إلى العشرين أو الثلاثين ونحوها.

والأمْعوز من الظِّباء: وهي الثلاثون إلى ما بلغت"(١٥١).

ثانياً – المجموعة الدّلالية (ب): وتضم ألفاظ غير المعدود من جماعة البهائم وتقسم:

أ – من ذي الخف:

المَغْكاء: الإبل المجتمعة، والبَعْكوكة: جماعة الإبل، والسُّرْبة: الجماعة من الإبل، والدَّهْدان: الكثير من الإبل، والنَّعَم، والصِّدْعة من الإبل: نحو القطيع.

ب – ذات الحافر:

الجَبْهة من الخيل، والسِّرب: الجماعة، والمُعَيْرة، والمُعْيوراء، والعانة، والقَنْبلة، والكُسَعة، والنَّخَّة: جماعة الحمير.

ج – من ذوات الظّلف:

المَعْز، والمِعْزى، والمَعيز، والضّأن للجميع، وضائنة، وضائن، والضّئين، والرِّف:

الشّاء الكثيرة، والقَوْط، والحِيلة: الكثير من الغنم، والثَّلّة: الكثير، والضَّاجعة والضّجعاء: كثير الغنم.

والبقير والأبْقور، وبيْقور، والباقِر، والبقر، والباقورة: جماعة البقر، والصِّوار: القطيع من البقر.

والإجْل: القطيع من الظباء.

د – من ذوات البراثن:

صُوّة من السِّباع.

هـ – من ذوات الجناح:

خَيْطى، وخِيطان، وخِيْط: جماعة النعام، وزُمّة، وثَوّالة، وعَرَقَة، وسُرْبة: جماعة الطّير.

ولُبَّد، ورِجْل، وخِرْق، رِجْلة، وقَفْعَة، ورَفْع: جماعة الجراد.

الثَّوْل: الجماعة من النّحل، والرَّعْلة: الجماعة من النّعام(١٥٢).

العلاقات الدّلالية المتحقّقة داخل هذا الحقل:

التّرادف الواقع ـ على سبيل المثال ـ بين البقير والأبْقور، وبيْقور، والباقِر، والبقر، والباقورة التي تعني جميعها: الجمع.

وهناك الاشتمال الواقع بين ذي الظلف والمعز، والغنم، والظباء، والبقر.

الخاتمة

وهكذا، وبعد الانتهاء من دراسة فرق قطرب خرجت الدّراسة بجملة نتائج حول هذا الكتاب، حيث إنه تميّز بما يلي:

١ – يُعدُّ قطرب رائداً في تأليف (الفرق)؛ إذ لم يسبقه أحد في التّأليف في هذا الفن؛ لذا لا نجد عنده نقولاً كثيرة عن العلماء، وأكثر من ذكرهم هُم الشعراء والرُّجاز.

٢ – اعتنى قطرب بألفاظه اعتناء خاصاً؛ إذ كان يُفسِّر الكلمة بمرادفاتها ويشرح معناها، ويوضّحه بكلام واضح مفهوم مبتعداً عن الحوشي والغريب.

٣ – اهتمّ قطرب بذكر جمع المفرد أو مُفرد الجمع أو المثنى أو مُذكَّر المؤنث أو مؤنث المذكَّر.

٤ – أكثر قطرب من الشّواهد مع اعتنائه بشرح ما غمض من معناها مع عزوه أكثر شواهده إلى أصحابها.

٥ – اعتنى قطرب بلغات العرب؛ حيث كان يورد اللُّغات المختلفة للفظ الواحد في لغات العرب، وهذا ملمح من ملامح المنهج الوصفي في كتابه.

٦ – يُعدُّ كتاب قطرب مصدراً أصيلاً لكل من ألّف بعده في الفروق؛ لذلك فإنّ أهميته كبيرة من حيث كونه مؤثّراً في كلّ مؤلّفات الفروق في التّراث اللّغوي العربيّ، إضافةً إلى قيمته اللُّغوية المعجمّية فيما حواه من مادة لُغويّة.

٧ – اهتمّ قطرب بناحية التّطور الدّلالي؛ إذ نجده يُبيّن الانتقال في المعاني بين الكلمات.

٨ – تقوم فكرة هذا الكتاب على ما يُعرف بالحقول الدّلالية ؛ أي ترتيب الثّروة اللّفظية في مجموعات من الحقول تحت فكرة جامعة. وهكذا تنقسم الثّروة أبواباً وفصولاً تضمُّ ما يُعبّر عنه من ألفاظ تخصُّ موضوعاً بعينه كالفم ومقابله عند البهائم، والأصوات ومقابلها عند البهائم.

أمّا بالنّسبة إلى مآخذ الدراسة على الكتاب، فهي:

١ – خلوّ (فرق) قطرب من مقدمة توضِّح أسباب التّأليف، ومنهج الكتاب، ومحتوياته.

٢ – عدم التزام (فرق) قطرب التّرتيب في أبواب كتابه؛ إذ لم يلتزم ترتيباً هجائياً في الأبواب ولا في تنسيق مادة الباب الواحد.

٣ – عدم التزام قطرب التّنسيق العضوي والموضوعي لأبواب كتابه ؛ ففي أول عشرة أبواب لا نجد أي تنسيق، ثم يبدأ التّنسيق في باب خروج الرّيح إلى باب الولادة بعد الحمل، ثم يخرج عن التزامه من جديد فيذكر الجماعة من النّاس والبهائم، ومن ثم باب الأصوات، ويختم كتابه أخيراً بباب الموت.

٤ – عدم استقصاء كل أبواب جسم الإنسان، فأهمل الشّفة واللّسان والرّجل والذّراع والشّعر والعين والأسنان والأمعاء والأصابع.

إلّا أنّ هذه المآخذ لا تنتقص من قيمة جهد قطرب؛ فقد بذل جهداً كبيراً يحسب له، إضافة إلى فضل السّبق له في التّأليف في هذا الميدان اللُّغوي الجديد.

الهوامش

١ – ليلى عثمان، **المخصص لابن سيده، دراسة في المنهج والمضمون**، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، إربد، جامعة اليرموك، ١٩٩٧، ص٩.

٢ – محمود ياقوت، **معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة**، ط١، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، ص٥٢.

٣ – شرف الدين الراجحي، **في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث**، (د.ط)، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٢م، ص ١٤٥.

٤ – ليلى عثمان، **المخصص لابن سيده، دراسة في المنهج والمضمون**، ص ٩.

٥ – حسن ظاظا، **كلام العرب، من قضايا العربية**، (د.ط)، مصر، دار المعارف، ١٩٧١م، ص ١٤٨.

٦ – رياض زكي قاسم، **المعجم العربي، بحوث في المادة والمنهج والتطبيق**، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٧، ص ٢٩.

٧ – ياسر الملاح، **علم الدلالة في العربية (بحث في النظرية والمنهج)**، (د.ط)، القدس، دار الفرقان، ١٩٩٣، ص ٤٣.

٨ – أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٣، ص ٢٠.

٩ – محمود ياقوت، **معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة**، ص ٩٨.

١٠ – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٥، ج١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥، ص ٢٠.

١١ – ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت ٢٩١هـ)، **الفصيح**، تحقيق: عاطف مدكور، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ١٣١.

١٢ – إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ط٢، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٦٣م، ص ١٥١.

١٣ – أبو داود الإيادي، الديوان، ص ٣٥٢، وفيه:

جلوساً على مهرنا ننزع من شفتيه الصفارا

١٤ – الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢٠٩ هـ)، **رسالتان في اللغة: الفرق والشاء**، تحقيق: صبيح التميمي (ط٢)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٢، ص ٢٧.

١٥ – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري(ت ٩١١هـ). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**.(د.ط)، ج١، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م، ص: ٤٠٠–٤٠١.

١٦ – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت ٢٧٦ هـ)، **أدب الكاتب**، (د.ط)، تحقيق: محمد طعمة حلبي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧، ص ٩.

١٧ – عبد القادر عبدالجليل، **التنوعات اللغوية**، (د.ط)، عمّان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص ٣٦.

١٨ – ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، **الفرق**، تحقيق: رمضان عبد التواب، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي، الرياض، مكتبة الرفاعي، ١٩٨٢، ص ٥.

١٩ – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٨٠ هـ)، **الكتاب**، (د.ط)، ج١، تحقيق: إميل يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩، ص ٧–٨.

٢٠ – حسين نصار، **المعجم العربي: نشأته وتطوره**، (د.ط)، ج١، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٥٦، ص ٣٤.

٢١ – محمد الشايع، **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن**، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٣، ص ١٧.

٢٢ – ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، (د.ط)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م، مادة ردف.

٢٣ – العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٤٠٠هـ)، **الفروق في اللغة**، ط٥، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١، ص ١٣-١٥.

٢٤ – رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٧، ص ٣١٥–٣١٦.

٢٥ – صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ط٩، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١، ص ٣٠٠.

٢٦ – ftnalt David Crystal, A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Oxford (a. u.): Blackwel [26] P.340,1981.

٢٧ – ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت ٢٩٣ هـ). **الخصائص**، ط ٢، ج٢، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٣٦٨–٤٩٩.

٢٨ – وجيهة السّطل، **التأليف في خلق الإنسان**، ط١، دمشق، منشورات دار الحكمة، ١٩٧٩، ص ٢٢.

٢٩ – محمود ياقوت، **معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة**، ص ٩٧-٩٨.

٣٠ – انظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت ٦٤٦هـ)، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، (د.ط)، ج٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠، ص ٢١٩–٢٢٠.
وابن النديم، محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق (ت ٤٣٨هـ)، **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٤، ص ٧٥.

٣١ – انظر: القفطي، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، ص ٤/ ١١١.

٣٢ – انظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ): **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد سامي الخانجي، (د.ط)، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٣٥–٤٠.

٣٣ – انظر: القفطي، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، ص٥٩.

٣٤ – انظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، **معجم الأدباء:**

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ٧ج، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.

٣٥ – انظر: ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ٨ ج، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٢.

٣٦ – انظر: الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص ٧٢–٧٤.

٣٧ – قطرب، **مقدمة الفرق**، ص ١٠.

٣٨ – وجيهة السّطل، **التأليف في خلق الإنسان**، ص٢٢–٢٣.

٣٩ – حسين نصار، **دراسات لغوية**، (دط)، بيروت، دار الرائد، ١٩٨١، ص ١٧٧–١٨١.

٤٠ – حسين نصار، **المعجم العربي: نشأته وتطوره**، ص ٨٦.

٤١ – قطرب، **الفرق**، ص ٢٨-٣٢.

٤٢ – محمد حسين آل ياسين، **أبحاث في تاريخ العربية ومصادرها**، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٦، ص ٢٣٧.

٤٣ – الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، (ت ٣٧٠ هـ)، **تهذيب اللُّغة**، ج١، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، الدار المصرية للتّأليف والترجمة، ١٩٦٤، ص ٣٣.

٤٤ – الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢٠٩ هـ)، **رسالتان في اللغة: الفرق والشاء**، ص ٦.

٤٥ – أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، ط١، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١، ص ١٥.

٤٦ – محمد المبارك، **فقه اللّغة وخصائص العربية**، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨، ص ٣٠٧-٣٠٨.

٤٧ – قطرب، **الفرق**، ص ١١-٢٣.

٤٨ – المرجع السّابق، ص ٤٥.

٤٩ – المرجع السّابق، ص ٤٥–٤٧.

٥٠ – المرجع السّابق، ص ٥١–٥٢.

٥١ – المرجع السّابق، ص٥٠.

٥٢ – المرجع السابق، ص ١٣١.

٥٣ – المرجع السّابق، ص ٧٥.

٥٤ – المرجع السّابق، ص٩٧.

٥٥ – المرجع السّابق، ص ٢٨–٣٢.

٥٦ – المرجع السّابق، ص ٤٥.

٥٧ – المرجع السّابق، ص ٣٤.

٥٨ – المرجع السّابق، ص٤٥–٤٧.

٥٩ – المرجع السّابق، ص ٩٤.

٦٠ – المرجع السّابق، ص ٥٠.

٦١ – المرجع السّابق، ص٧٥.

٦٢ – المرجع السّابق، ص ٤٧.

٦٣ – محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية**، (د.ط)، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣، ص ١٧.

٦٤ – ftnalt Ferguson, Charles (1959): "Diglossia", in Word, Vol. 15,1959, [65] 325- 340.

٦٥ – قطرب، **الفرق**، ص ٦٥.

٦٦ – المرجع السّابق، ص ٦١.

٦٧ – المرجع السّابق، ص ١١٣-١١٤.

٦٨ – المرجع السّابق: ص ٤٨.

٦٩ – المرجع السّابق، ص ٧١-٩٩.

٧٠ – المرجع السّابق، ص ١٨٦.

٧١ – المرجع السّابق، ص ١٥٢.

٧٢ – المرجع السّابق، ص ١٤١.

٧٣ – المرجع السّابق، ص ١٣٣.

٧٤ – المرجع السّابق، ص ٤٦.

٧٥ – المرجع السّابق: ص ١٢٣.

٧٦ – المرجع السّابق، ص٩٤.

٧٧ – الطّرماح، **الدّيوان**، تحقيق: عزة حسن، دمشق، مطبوعات مديرية إحياء التراث، ١٩٦٨، ص ٧٩.

٧٨ – النّابغة الذبياني، **الدّيوان**، دراسة: علي أبو ملحم، ط١، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٩١، ص ١٤٥ والبيت من الكامل.

٧٩ – قطرب، **الفرق**، ص ٦٦.

٨٠ – المرجع السّابق، ص ٨٤.

٨١ – القرآن الكريم، **سورة الأعراف**، ١٨٩.

٨٢ – M. Lynne Murphy, Semantic Relations and the Lexicon, Antonyme, Synonymy and other Paradigms, New York, Cambridge University, 2003, p: 138-139.

٨٣ – ياسر الملاح، **علم الدلالة في العربية(بحث في النظرية والمنهج)**، ص ٤٥.

٨٤ – قطرب، **الفرق**، ص ٦٦–٦٧.

٨٥ – تمّام حسان، **اللّغة العربية: معناها ومبناها**، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣، ص: ٣٢٤.

٨٦ – أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص ٦٩.

٨٧ – يحيى أحمد، **الاتجاه الوظيفي**، الكويت، عالم الفكر، ص ٨١–٨٢.

٨٨ – محمود السّعران، **علم اللُّغة**، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٦٥.

٨٩ – موريس أبو ناضر، **مدخل إلى علم الدلالة الألسني**، الكويت، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٨–١٩، السنة، ١٩٨٢، ص ٣٤.

٩٠ – M. Lynne Murphy, Semantic Relations, p: 139-140.

٩١ – جيرو، بيار، **علم الدّلالة**، (د.ط)، ترجمة: منذر عياشي، دمشق، دار كلاس، ١٩٩٢م، ص ٦١-٦٢.

٩٢ – موريس أبو ناضر، **مدخل إلى علم الدلالة الألسني**، ص ٣٤-٣٥.

٩٣ – انظر: (ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٤/ ٣١٢) و(الصفدي، **الوافي**، ٥/ ١٩).

٩٤ – قطرب، **الفرق**، ص ٤٦.

٩٥ – انظر: ابن النديم، **الفهرست**، ص ٧١.

٩٦ – قطرب، **الفرق**، ص ١٧٣.

٩٧ – انظر ترجمته في: ابن النديم، **الفهرست**، ص ٦٨.

٩٨ – قطرب، **الفرق**، ص ٧٤.

٩٩ – انظر: الزبيدي، **طبقات اللغويين**، ص ٣٥–٤٠.

١٠٠ – علي القاسمي، **علم اللغة وصناعة المعجم**، (د.ط)، جامعة الرياض، ١٩٧٥م، ص ١٧٨.

١٠١ – قطرب، **الفرق**، ص ٤٨.

١٠٢ – عادل الفاخوري، **علم الدلالة عند العرب**، (د.ط)، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥، ص ٥.

١٠٣ – منقور عبد الجليل، **علم الدّلالة: أصوله ومباحثه في التّراث**، ط١، دمشق، اتّحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١م، ص ٢٦.

١٠٤ – فايز الداية، **علم الدلالة: النظرية والتطبيق**، (د.ط)، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥م، ص ٦.

١٠٥ – منقور عبد الجليل، **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث**، ص ٣٣.

١٠٦ – ميشال زكريا، **الألسنية وعلم اللغة الحديث**، ط٢، بيروت، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ص ٢١١.

١٠٧ – جيرو بيار، **علم الدلالة**، ص ٩٩.

١٠٨ – قطرب، **الفرق**، ص ٥٠.

١٠٩ – إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص ١٦٧.

١١٠ – قطرب، **الفرق**، ص ٤٦.

١١١ – المرجع السّابق، ص ٥٠.

١١٢ – الرّاعي النُّميري، **الديوان**، ط ١، شرح: واضح الصمد، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٥، ص ٦٥.

١١٣ – إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، ط٣، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٦٥، ص ٢٠٣.

١١٤ – السيوطي، **المزهر في علوم اللُّغة**، ج١/ ٤٠٠–٤٠١.

١١٥ – ميشال زكريا، **الألسنية وعلم اللُّغة الحديث**، ص: ٢١١.

١١٦ – ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللُّغة**، ص ٦٧.

١١٧ – فريد عوض، **علم الدّلالة عند العرب: دراسة نظرية وتطبيقية**، (د.ط)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩م، ص ٨٧.

١١٨ – أحمد مختار عمر، **نظرية الحقول الدّلالية واستخداماتها المعجمية**، مجلة كلية الآداب والتربية، الكويت، العدد١٣، ١٩٧٨، ص ١٠.

١١٩ – كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في علم اللّغة**، ط٢، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٣٠٢.

١٢٠ – أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، ص ١١٠-١١٢.

١٢١ – أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدّلالية**، ص ٢٥.

١٢٢ – محيي الدين محسب، **التّحليل الدّلالي لفروق أبي هلال العسكري (دراسة البنية الدلالية لمعجم العربية)**، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ص ١٥.

١٢٣ – أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدّلالية**، ص ٣٣.

١٢٤ – محيي الدين محسب، **التّحليل الدّلالي**، ص ١٥.

١٢٥ – منقور عبدالجليل، **علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث**، ص٣٥.

١٢٦ – عبد القادر عبد الجليل، **التّنوعات اللّغوية**، (د.ط)، عمّان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص ٢٥.

١٢٧ – أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، ص ٢١.

١٢٨ – محمد علي الخولي، **علم الدّلالة، علم المعنى**، (د.ط)، عمّان، دار الفلاح للنشر، ٢٠٠١م، ص: ١٦.

١٢٩ – أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، ص ٢٣.

١٣٠ – عرار، مهدي، **جدل اللّفظ والمعنى**، ط١، عمّان، دار الشروق، ٢٠٠١م، ص ٣٤.

١٣١ – أحمد مختار عمر، **نظرية الحقول الدّلالية واستخداماتها المعجمية**، ص ٩–٢٥.

١٣٢ – حازم علي كمال الدين، **علم الدّلالة المقارن**، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤، ص ٤٧.

١٣٣ – ستيفن أولمان، **دور الكلمة**، ص ١٩٠.

١٣٤ – عبد الكريم مجاهد، **الدّلالة اللّغوية عند العرب**، (د.ط)، القاهرة، دار الضياء، ١٩٨٥، ص ٦٤.

١٣٥ – قطرب، **الفرق**، ص ٤٩.

١٣٦ – المرجع السّابق، ص ١٠٤.

١٣٧ – المرجع السّابق، ص ١٠٥.

١٣٨ – سلوى بكداش، **دلالة الأضداد في اللُّغة**، ص ٥٣.

١٣٩ – أحمد مختار عمر، **نظرية الحقول الدّلالية**، ص ٢١.

١٤٠ – قطرب، **الفرق**، ص ١٢٨.

١٤١ – المرجع السّابق، ص ٩٣.

١٤٢ – M. Lynne murphy, Semantic Relations, p: 29.

١٤٣ – أحمد مختار عمر، **نظرية الحقول الدّلالية**، ص ١٤.

١٤٤ – قطرب، **الفرق**، ص ١٠٤.

١٤٥ – جرمان ولوبلان، **علم الدّلالة**، ترجمة نور الهدى لوشن، بنغازي، جامعة قار يونس، ١٩٩٧، ص ٨١.

١٤٦ – بالمر، **علم الدّلالة إطار جديد**، ترجمة: صبري السيد، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢، ص ٩٣.

١٤٧ – ستيفن أولمان، **دور الكلمة**، ص ١٩٠-١٩١.

١٤٨ – قطرب، **الفرق**، ص ١١٩.

١٤٩ – علي سامي النشار، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، (د.ط)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤، ص ٣١.

١٥٠ – قطرب، **الفرق**، ص ١٤٨-١٥١.

١٥١ – المرجع السابق ١٤٩-١٥٢.

١٥٢ – المرجع السابق: من ١٤٤-١٥٥.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آل ياسين، محمد حسين:
  - أبحاث في تاريخ العربيّة ومصادرها، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.
  - الدراسات اللُّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م.
- أحمد، يحيى، **الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة**، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٠، ع٣، الكويت، ١٩٨٩م.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، (ت ٣٧٠ هـ). **تهذيب اللُّغة**، ١٥ج، تحقيق: عبد السلام هارون، الدّار المصرية للتّأليف والتّرجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- أنيس، إبراهيم:
  - دلالة الألفاظ، ط٢، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
  - في اللهجات العربيّة، ط٣، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.
  - من أسرار اللُّغة، ط٣، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللُّغة**، ترجمة: كمال بشر، ط١٢، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- بالمر، **علم الدلالة إطار جديد**، ترجمة: صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
- بدوي، مصطفى، **كولردج**، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧
- بكداش، سلوى، **الدلالة في الأضداد اللُّغوية**، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٦م.

- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت ٢٩١هـ). **الفصيح**، تحقيق: عاطف مدكور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥.
- جرمان ولوبلان، **علم الدّلالة**، ترجمة نور الهدى لوشن، جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٧م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت ٢٩٣هـ). **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.
- جيرو، بيار، **علم الدّلالة**، (د.ط)، ترجمة: منذر عياشي، دار كلاس، دمشق، ١٩٩٢م.
- حجازي، محمود فهمي، **علم اللغة العربية**، (د.ط). وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م.
- حسام الدين، كريم زكي، **أصول تراثية في علم اللغة**، ط٢، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، (د.ط). الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.
- الحموي، ياقوت، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ٧ج، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
- ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ٨ ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.
- الخولي، محمد علي، **علم الدلالة، علم المعنى**، (د.ط). دار الفلاح للنشر، عمّان، ٢٠٠١م.
- الداية، فايز، **علم الدلالة: النظرية والتطبيق**، (د.ط). دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

- الراجحي، شرف الدين، **في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث**، (د.ط). دار المعرفة، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي (ت ٣٧٩ هـ): **طبقات النّحويين واللّغويين**، (د.ط)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد سامي الخانجي، القاهرة.
- زكريا، ميشال، **الألسنية وعلم اللُّغة الحديث**، ط٢، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.
- السَّطل، وجيهة، **التّأليف في خلق الإنسان**، ط١، منشورات دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٩م.
- السّعران، محمود، **علم اللغة**، القاهرة، ١٩٦٢م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٨٠ هـ)، **الكتاب**، (د.ط). تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (ت ٩١١هـ). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢ ج**. (د.ط)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.
- الشايع، محمد، **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن**، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٣.
- الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.
- ظاظا، حسن، **كلام العرب، من قضايا العربية**، (د.ط)، مصر: دار المعارف، ١٩٧١م.
- عبد التواب، رمضان، **فصول في فقه العربية**، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- عبد الجليل، عبد القادر، **التنوعات اللغوية**، (د.ط)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٧م.

- عبد الجليل، منقور، **علم الدّلالة: أصوله ومباحثه في التّراث**، ط١، اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- عثمان، ليلى، **المُخصّص لابن سيده: دراسة في المنهج والمضمون**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٧م.
- عرار، مهدي، **جدل اللفظ والمعنى**، ط١، دار الشروق، عمان، ٢٠٠١م.
- عزوز، أحمد، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدّلالية**، ط١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٤٠٠هـ). **الفروق في اللغة**، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.
- عمر، أحمد مختار:
  - صناعة المعجم الحديث، ط١، عالم الكتب، مصر، ١٩٩٨م.
  - علم الدّلالة، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
  - نظرية الحقول الدّلالية واستخداماتها المعجمية، مجلة كلية الآداب والتربية، الكويت، العدد(١٣)، سنة ١٩٧٨م، ص: ٩-٢٥.
- عوض، فريد، **علم الدّلالة عند العرب دراسة نظرية وتطبيقية**، (د.ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الفاخوري، عادل **علم الدلالة عند العرب**، (د.ط)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، **الفرق**، تحقيق: رمضان عبدالتواب، (د.ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢م.
- قاسم، رياض زكي، **المعجم العربي، بحوث قي المادة والمنهج والتطبيق**، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م.
- القاسمي، علي، **علم اللغة وصناعة المعجم**، (د.ط)، جامعة الرياض، ١٩٧٥م.
- قطرب، أبو علي محمد بن المستنير (ت ٢١٠ هـ)، **الفرق**، تحقيق: خليل العطية، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م.

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ)، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- كمال الدين، حازم علي، **علم الدلالة المقارن**، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- المبارك، محمد، **فقه اللّغة وخصائص العربيّة**، ط ٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م.
- مجاهد، عبد الكريم، **الدلالة اللغوية عند العرب**، (د.ط)، دار الضياء، القاهرة، ١٩٨٥م.
- محسب، محيي الدين، **التّحليل الدّلالي في الفروق لأبي هلال العسكري (دراسة البنية الدلالية لمعجم العربية)**، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
- مدكور، عاطف، **علم اللغة بين التراث والمعاصرة**، (د.ط)، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- المسدي، عبد السلام، **اللسانيات وأسسها المعرفية**، (د.ط)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٦م.
- الملاح، ياسر، **علم الدلالة في العربية (بحث في النظرية والمنهج)**، (د.ط)، دار الفرقان، القدس، ١٩٩٣م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، (د.ط)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- أبو ناضر، موريس، **مدخل إلى علم الدلالة الألسني**، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٨-١٩، الكويت، السنة ١٩٨٢م.
- النشار، علي سامي، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.
- نصار، حسين:
  - المعجم العربي: نشأته وتطوره، ٢ج، (د.ط)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.

- دراسات لغوية، (د. ط)، دار الرائد، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن النديم، محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق (ت ٤٣٨ هـ)، **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.
- ياقوت، محمود، **معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة**، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
- David Crystal, A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Oxford (a.u.): Blackwel.
- F.R Palmer, Semantics, second, edition, Cambridge, 1981.
- Ferguson, Charles, Diglossia, in Word, Vol. 15,1959.
- M. Lynne Murphy, Semantic Relations and the lexicon, Antonyme, Synonoymy and other Paradigms, First edition, Cambridge University, New York, 2003.